

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة

قسم التاريخ



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الجواري والمحظيات في العهد الأموي عصري الإمارة والخلافة (138هـ - 422هـ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، تخصص تاريخ الغرب الاسلامي الوسيط

إشراف الدكتور

جمال البوص

إعداد الطالبة

حريزي سهيلة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
. أ.د. مفتاح خلفات	أستاذ تعليم عالي	جامعة المسيلة	رئيسا
د. جمال البوص	أستاذ تعليم عالي	جامعة المسيلة	مشرفا و مقررا
أ.د. مصطفى بن حسين	أستاذ تعليم عالي	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية 2025*2026

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بداية أتوجه بالشكر الجزيل إلى المولى تعالى الذي أنعم علينا
بهذا وأعاننا على إنجاز هذا البحث ووفقنا فيه وإليه يرجع كل الفضل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى كل من ساعدنا في
إنجاز هذا العمل ونخص بالذكر الدكتور "جمال البوص" الذي أفادنا

بنصائحه وإرشاداته القيمة

وكان سندا لنا. كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كافة الأساتذة
والدكاترة في قسم التاريخ، الذين أفادونا بنصائحهم
وتوجيهاتهم العلمية ودعمهم المعنوي حتى نهاية هذا المسار
البحثي ونسأل الله أن يبارك هذا العمل وليجعله خيرا للبحث العلمي
وأن يوفقنا إلى ما فيه خيرا وصلاحا لنا



الحمد لله الذي تتم به نعمة الصالحات ، الحمد لله كثيرا نحمده ونستعين به ، والصلاة

: والسلام على الحبيب المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام ، أما بعد

أهدي ثمرة جهدي إلى

. إلى من كانا الدافع القوي في حياتي أمي وأبي الكريمين

. إلى روح أخي الطاهرة ، رحمة الله عليه نور الدين

. إلى زوجي الكريم عمر ، وفلذة كبدي ، ملاكي درصاف

. إلى أختي منيرة وزوجها حسان وولديها الكريمين وائل ونجيب

إلى أخواتي الفضليات سعاد وأولادها جوري ، أروى ، تميم ، وزوجها أحمد ، والنبيلة

. فاطمة الزهراء

وصغيرة عائلتي مريم البتول إلى حبيبي وسند ظهري أخي الصغير حفظه الله ورعاه من كل

. مكروه هارون

. إلى كل صديقاتي وزميلاتي في العمل أخص بالذكر مريم

دليل المختصرات

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
ط	طبعة
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
ج	جزء
مج	مجلد
ت	تاريخ
تع	تعليق

مَدَامَ

1) التعريف بالموضوع:

تميزت الأندلس منذ قيام الدولة الأموية فيها على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ/756م بمحاولة إحياء النموذج الأموي المشرقي، خاصة فيما يتعلق ببنية الحكم وتقاليد البلاط، وكان من مظاهر هذا التقليد انتقال مؤسسة الحريم بما تحمله من رمزية اجتماعية وثقافية، وظهور دور الجواري والمحظيات، إذ لا يستقيم الحديث عن المجتمع الأندلسي بمختلف أطيافه وتلويناته، بخاصته وعامته، برجاله ونسائه، دون الوقوف عند هاته طبقة التي شكّلت مكّوناً بارزاً من مكّونات الاجتماعية، وكانت حاضرة في مختلف الحواضر والقصور الأندلسية، ومتصلة بجملة من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في الأندلس. فقد ارتبط وجود الجواري بالبنية الاجتماعية التي عرفها المجتمع الأندلسي، ولم يكن حضورهن مقتصرأً على نطاق الخدمة المنزلية أو على ما ارتبط بهن من صور اللهو والمتعة والطرب ومجالس الأنس والندماء، وهي الصور التي رسختها بعض الأحكام الجاهزة والتصورات النمطية التي كرسها أقلام بعض المستشرقين، حتى غدت الجارية في المخيال العام مقترنة بصورة واحدة تختزل وجودها في السخرة والخدمة والمتعة، وتتجاهل في المقابل الأدوار المتعددة التي اضطلعت بها في المجتمع الأندلسي.

وعلى خلاف هذه الصورة النمطية الضيقة، تكشف المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم عن حضور أكثر تعقيداً وثراءً للجواري، إذ استطاعت العديد منهن تجاوز الحدود التي فرضها عليهن وضعهن الاجتماعي، فبرزت بينهن شخصيات امتلكت من الذكاء والفطنة وحسن التدبير ما مكّنها من الوصول إلى دوائر النفوذ والتأثير، والمشاركة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في مجريات الحياة السياسية والاجتماعية.

ولم تكن مكانتهن رهينة بجمالهن أو بقدرتهن على إمتاع مجالس الخاصة، بل إن بعضهن استطعن أن يفرضن حضورهن بفضل ما امتلكن من معرفة وثقافة وموهبة وحسن تدبير، حتى غدت الجارية في بعض الحالات طرفاً فاعلاً في محيطها، وصاحبة رأي ومكانة وحظوة لدى الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة.

وتروي كتب التاريخ والأدب والتراجم أخباراً كثيرة عن دهاء هؤلاء الجواري وفطنتهن، وعن قدرتهن على استمالة أصحاب السلطة والنفوذ، حتى استطاعت بعضهن أن ينلن حظوة كبيرة لدى الخلفاء والأمراء وعالية القوم، وأن يصبحن قريبات من مراكز القرار والتأثير. ومن خلال هذه الحظوة تمكنت بعض الجواري من التأثير في مجريات الأحداث، والمشاركة في تدبير بعض الشؤون، والتدخل في قضايا ذات صلة بالحياة السياسية والاجتماعية، الأمر الذي جعل حضورهن يتجاوز الدور التقليدي الذي كانت تفرضه عليهن مكانتهن بوصفهن

إماء. ومن هنا برزت الجارية ذات المكانة الرفيعة التي استطاعت، بفضل ما حازته من ثقة وحظوة، أن تنتقل من هامش الحياة الاجتماعية إلى فضاءات أوسع من النفوذ والتأثير.

ولم يتوقف الأمر عند حدود الحظوة والمكانة الاجتماعية، بل إن بعض الجواري استطعن الوصول إلى مكانة أسرية رفيعة، فتزوجن من الأمراء والخلفاء، وأنجن منهم البنين والبنات، وأصبحن بذلك جزءاً من البيوت الحاكمة، وانتقلن من وضع الاسترقاق إلى الحرية والاندماج في الطبقات العليا من المجتمع. وقد أتاح لهن هذا التحول امتلاك مكانة جديدة داخل المجتمع، وأصبحت بعضهن أمهات لأبناء كان لهم شأن في الحياة السياسية، وهو ما منحهن منزلة خاصة وأخرجهن من الصورة التقليدية للجارية التي تُختزل وظيفتها في الخدمة أو الترفيه. ومن ثم، فإن دراسة الجواري في الأندلس تقتضي النظر إلى مساراتهن الاجتماعية المختلفة، وما أتاحته بعض الظروف لهن من إمكانية الانتقال من وضع اجتماعي هامشي إلى موقع أكثر تأثيراً وحضوراً.

كما تكشف لنا كتب التراجم والأدب عن جانب آخر من حياة الجواري، يتمثل في إسهام بعضهن في الحياة الثقافية والفكرية والفنية، إذ لم تكن المعرفة حكراً على الأحرار، ولم تكن الجارية دائماً بمعزل عن الحركة العلمية والأدبية التي عرفتھا الأندلس. فقد برزت بينهن من امتلكن قدراً من الثقافة والعلم والأدب، ومن أتقن الشعر والغناء والخطابة والكتابة، ومن شاركن في المجالس الأدبية والثقافية، فتركن أثراً في البيئة التي عشن فيها. وبفضل هذه المواهب استطاعت بعض الجواري أن تفرض حضورها في مجتمع كان يقدر العلم والأدب والفن، وأن تحظى بمكانة تتجاوز بكثير حدود وظيفتها الأصلية، حتى أصبحت بعضهن شخصيات معروفة في كتب الأدب والتراجم.

وقد حفظت لنا المصادر أخبار جوارٍ فضليات لم يكن حضورهن عابراً في التاريخ، بل استطعن أن يتركن آثاراً واضحة في المجالات التي انخرطن فيها، وأن يتحولن إلى شخصيات فاعلة في محيطهن الاجتماعي والثقافي. فمنهن من برزت في مجال الأدب والشعر، ومنهن من عُرفت بالعلم والمعرفة، ومنهن من اشتهرت بالفن والغناء، وأخريات ارتبط ذكرهن بالحياة السياسية ومجالس الخلفاء والأمراء. وبذلك تكشف هذه الأخبار عن تنوع الأدوار التي اضطلعت بها الجواري، وتدفع إلى تجاوز النظرة الأحادية التي تحصرهن في صورة الخادمة أو المغنية أو أداة المتعة، إذ إن واقعهن التاريخي كان أكثر تنوعاً وتشعباً من هذه الصورة المختزلة.

وعليه، فإن دراسة الجواري في المجتمع الأندلسي لا ينبغي أن تنطلق من الصورة النمطية التي تجعل منهن مجرد أدوات للخدمة والسخرة واللهو والمتعة، وإنما ينبغي أن تنظر إليهن بوصفهن فئة اجتماعية متعددة الأدوار والمواقع، عرفت

بين أفرادها نماذج مختلفة ومتباينة. فقد كانت منهن الخادمة، والمغنية، والشاعرة، والعالمة، والأديبة، والقابلة، والطبيبة، والكاتبة، ومنهن من اقتربت من دوائر السلطة، ومنهن من ارتقت إلى مكانة سياسية واجتماعية مرموقة، ومنهن من ارتبط اسمها بالعلم والثقافة والفن، ومنهن من استطاعت أن تجعل من المعرفة والموهبة وسيلة للانتقال من واقع الاستعباد إلى فضاء الحرية والمكانة الاجتماعية.

وبذلك يظهر أن تاريخ الجواري في الأندلس هو تاريخ مسارات متعددة وتجارب متباينة، يجتمع فيها الاسترقاق مع الطموح، والهامش مع الحضور، والخدمة مع المعرفة، والضعف الظاهر مع القدرة على التأثير. وبين جارية ظلت أسيرة واقعها الاجتماعي، وأخرى استطاعت أن تشق طريقها بالعلم والفن والذكاء وحسن التدبير، تتشكل صورة أكثر واقعية وعمقاً لهذه الفئة التي كانت حاضرة في المجتمع الأندلسي حضوراً لا يمكن تجاهله.

وفي هذا الإطار، جاءت دراستنا الموسومة بـ "دور الجواري والمحظيات في الأندلس خلال العهد الأموي (138-422هـ/756-1031م)"، بهدف إبراز مكانة الجواري والمحظيات ودورهن في مختلف جوانب الحياة الأندلسية خلال العصر الأموي.

(2) أهمية الموضوع :

شغلت قضية الجواري والإماء حيزاً معتبراً من اهتمامات الكتاب والأدباء والمؤرخين والباحثين، غير أن جانباً كبيراً من هذه الدراسات انصرف إلى إبراز الدور التقليدي للجارية والمحظيات، ولا سيما ما ارتبط بعلاقتهم بالسيد وخدمته وإشباع رغباته، في حين لم تحظ الجوانب الأخرى من أدوارهن، ولا سيما إسهاماتهن الثقافية والأدبية والعلمية، بالقدر نفسه من الاهتمام في الدراسات التاريخية.

كما ترجع أيضاً أهمية هذا الموضوع إلى الدور الهام الذي أدته الجارية في القصر الأندلسي ودور الخلافة، حيث تمتعت الجارية الأموية بمكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي، مما أهلها لاحتلال مكانة خاصة ميزتها عن غيرها من الجواري في مختلف مناطق العالم الإسلامي، مشرقاً ومغرباً. وقد أتاح لنا ذلك اكتشاف مدى حضور الجارية الأموية في الحياة العامة، بوصفها فاعلاً في المجالين السياسي والعلمي على حد سواء.

كما تكتسب دراسة الجواري في الأندلس أهميتها من كونها تفتح نافذة على جانب من التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي ظل في كثير من الأحيان محكوماً بصور جاهزة واختزالات لا تعكس حقيقة التجربة التاريخية لهذه الفئة.

فالجارية لم تكن مجرد شخصية هامشية تدور في فلك القصور، بل كانت في حالات عديدة جزءاً من الحياة العامة، وأسهمت، بدرجات متفاوتة، في صناعة بعض جوانب المشهد السياسي والثقافي والاجتماعي. ولذلك فإن تتبع أخبارهن وسيرهن ومساراتهن المختلفة يسمح بإعادة قراءة حضور المرأة الجارية في المجتمع الأندلسي، والكشف عن أشكال الحضور والتأثير التي استطاعت بعضهن تحقيقها، رغم القيود التي فرضها عليهن وضعهن الاجتماعي.

(3) أسباب اختيار الموضوع:

أ- الدوافع الموضوعية:

يرجع اختياري لهذا الموضوع الى رغبتني في التعرف على مختلف الأدوار التي اضطلعت بها الجارية في المجتمع الأندلسي خلال فترة الحكم الأموي، والكشف عن إسهاماتها في مجالات متعددة، بما يبرز حضورها في الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية، ولا يحصر وجودها في إطار وظيفتها التقليدية المرتبطة بالخدمة أو الحياة داخل قصور الحكام والأعيان.

ب- الدوافع الذاتية:

رغم أن حضور الجواري والمحظيات كان لافتاً في القصر الأموي بالأندلس، فإن دراسة هذه الفئة ظلت موضوعاً هامشياً في أغلب الدراسات التاريخية، إذ طغى الاهتمام بالجوانب السياسية والعسكرية على دراسة الأدوار الاجتماعية والثقافية للجواري. كما أن هذه الفئة من النساء لم تحظ بالقدر الكافي من البحث الأكاديمي الذي يتناسب مع أدوارها وتأثيرها في المجتمع الأندلسي. ومن هنا جاءت رغبتني في اختيار هذا الموضوع، رغبة في التعرف على مكانة الجواري والمحظيات وإبراز أدوارهن المختلفة، والكشف عن مدى إسهامهن في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية خلال العهد الأموي في الأندلس.

(4) الإشكالية الرئيسية:

ظلت الأندلس على امتداد قرون الحكم الإسلامي حالة فريدة من التمازج الحضاري والثقافي بين المشرق والمغرب، وكانت موطناً لواحدة من أعظم التجارب الإسلامية في مجالات الحكم والفن والعلم. وقد لعبت فئات اجتماعية مختلفة أدواراً متعددة في تشكيل هذه الحضارة، إلا أن فئة الجواري والمحظيات تبقى من أكثر الفئات التي تعرضت للتجاهل أو الاختزال في صورة نمطية، رغم تأثيرها الواسع والمتعدد الجوانب داخل المجتمع الأندلسي، خاصة في الفضاءات المرتبطة بالقصور والدوائر العليا للسلطة.

ومن هذا المنطلق، يتسنى لنا طرح الإشكالية المحورية التالية:

ما الدور الذي قامت به الجارية الأندلسية خلال العهد الأموي،
والذي أهلها للوصول إلى مراتب عليا ومكانة مرموقة داخل المجتمع
الأندلسي؟

5) الإشكاليات الفرعية:

أما بالنسبة للإشكاليات الفرعية، فيمكننا طرح التساؤلات التالية:

- 1- فيما تمثلت مظاهر النفوذ السياسي للجارية الأندلسية؟
- 2- كيف آلت الجارية الأندلسية إلى مرتبة الفقيهة والمؤدبة والشاعرة والطبيبة؟
- 3- ما أصناف الجواري التي أتاحت لهن فرصة الإسهام في مجالات الفن والغناء والموسيقى، وإبداء الرأي؟
- 4- ما الفرق بين مكانة الجارية في عصر الإمارة ومكانتها في عصر الخلافة؟

6) حدود الدراسة:

تتحدد حدود دراسة في إطارين:

- أ- الحدود المكانية: الأندلس
- ب- الحدود الزمانية: الفترة الممتدة ما بين سنتي (138-422هـ/756-1031م) فترة الحكم الأموي

7) منهج البحث:

نظراً لكون موضوع البحث ينتمي إلى مجال دراسة الأحداث والوقائع التاريخية الماضية، فقد تم الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي باعتباره من أنسب المناهج لدراسة هذا النوع من الموضوعات، لما يتيح من إمكانية تتبع الأحداث التاريخية ووصفها وتحليلها وتفسيرها، بهدف الوصول إلى حقائق علمية دقيقة تسهم في فهم الماضي واستيعاب أبعاده المختلفة. وقد تم توظيف هذا المنهج في دراسة موضوع الجواري والمحظيات في الأندلس خلال العصر الأموي، والكشف عن أبعادهن التاريخية والحضارية والثقافية والسياسية، باعتبارهن عنصراً فاعلاً في المجتمع الأندلسي، إذ أسهمن، بدرجات متفاوتة، في العديد من المجالات والأحداث التي شهدت الدولة الأموية بالأندلس.

وتبرز أهمية المنهج التاريخي الوصفي في كونه يتيح دراسة الوقائع والأحداث التي شهدت الأندلس خلال العصر الأموي، ثم إخضاعها للنقد والتحليل والمقارنة، وصولاً إلى استخلاص النتائج المتعلقة بمكانة الجواري والمحظيات وأدوارهن المختلفة، ولا سيما أدوارهن في بعض المواقف السياسية والاجتماعية، ومدى إسهام بعضهن في الحياة العامة واستقرار الحكم الأموي بالأندلس.

كما أن دراسة الماضي تعد أساساً لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، إذ لا تستطيع الأمم بناء حاضرها بمعزل عن ماضيها، وإنما تستند إلى ما خلفه الأسلاف من تجارب وخبرات ومعارف، بما يساهم في فهم تطور المجتمعات وتحليل مساراتها التاريخية.

وإلى جانب المنهج التاريخي الوصفي، تم الاستعانة بالمنهج التاريخي السردى، وذلك من أجل تتبع مختلف الأحداث والوقائع التاريخية المرتبطة بحياة الجوّاري والمحظيات داخل قصور الأمراء والخلفاء الأمويين بالأندلس، والعمل على عرضها وترتيبها وفق تسلسلها التاريخي. وقد ساعد هذا المنهج على الوقوف على ظروف انتقال الجوّاري إلى قصور الحكام، والوسائل التي مكّنت بعضهن من الوصول إلى مكانة متميزة داخل البلاط، فضلاً عن بيان العوامل والشروط التي أسهمت في انتقال بعض الجوّاري من مجرد عنصر داخل الحريم إلى شخصيات ذات مكانة وتأثير في محيطهن السياسي والاجتماعي والثقافي. ومن ثم، أسهم الجمع بين المنهجين الوصفي والسردى في بناء تصور أكثر شمولاً لموضوع الدراسة، من خلال الجمع بين وصف الظاهرة التاريخية وتتبع أحداثها وتحليل أبعادها ونتائجها.

(8) خطة البحث:

بغية الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع والإجابة عن التساؤلات المطروحة في مقدمة البحث، تم الاعتماد على خطة منهجية تتناسب مع طبيعة الدراسة وأهدافها، وقد قُسم البحث إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وفصلين رئيسيين، إضافة إلى مبحث مقارن، وخاتمة، ومجموعة من الملاحق، وقائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات، مع تقسيم الفصول إلى مباحث وعناصر وفقاً لما تقتضيه طبيعة المادة العلمية وتفرعات الموضوع.

استُهلّت الدراسة بمقدمة عامة تناولت الإطار العام للبحث، من خلال عرض موضوع الدراسة وأسباب اختياره، وأهميته، وأهدافه، والإشكالية والتساؤلات التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها، فضلاً عن توضيح المنهج المتبع وخطة الدراسة.

ثم جاء الفصل التمهيدي بعنوان: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي، وقد قُسم إلى جزئين؛ تناول الجزء الأول التعريف بالجوّاري والمحظيات من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، وذلك من خلال الوقوف على الدلالات اللغوية للمصطلحين وبيان مفهومهما في الاصطلاح. أما المبحث الثاني فتناول مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي، حيث تم التطرق أولاً إلى وضعية الجوّاري والمحظيات في العصر الجاهلي، مع بيان مكانة المرأة عموماً والجارية خصوصاً، وما اتسمت به معاملتهن من صور التهميش والامتهان وانعدام المكانة الاجتماعية.

ثم انتقلنا إلى دراسة **وضعية الجوّاري والمحظيات في صدر الإسلام**، وبيان التحولات التي طرأت على مكانتهن في ظل التشريع الإسلامي، وما أقره الإسلام من حقوق وضوابط وأحكام أسهمت في تحسين وضع المرأة والجارية، والحث على العتق والتحرير وصون الكرامة الإنسانية.

أما **الفصل الأول** فجاء بعنوان: **الجوّاري والمحظيات في عصر الإمارة**، وتناول جزئين رئيسيين. خُصّص الجزء الأول لدراسة **الجوّاري والمحظيات في عهد أمراء الإمارة**، مع التركيز على **عهد عبد الرحمن الداخل**، حيث تم التطرق في البداية إلى **الإطار التاريخي والسياسي** الذي نشأت فيه الإمارة الأموية بالأندلس، ثم الوقوف على **حضور الجوّاري والمحظيات في بلاط عبد الرحمن الداخل** ومكانتهن داخل القصر الأميري. أما الجزء الثاني فجاء بعنوان **دور الجوّاري والمحظيات في عصر الإمارة وأثرهن في الحكم**، وتم من خلاله إبراز أدوارهن السياسية والاجتماعية، إلى جانب أدوارهن الثقافية والعلمية، مع بيان مدى تأثير بعضهن في الحياة العامة وفي محيط الحكم الأموي بالأندلس.

ثم جاء **الفصل الثاني** بعنوان: **الجوّاري والمحظيات في عصر الخلافة**، وقُسم بدوره إلى جزئين، تناول الجزء الأول **الجوّاري والمحظيات في عهد الخلافة الأموية بالأندلس**، حيث تم عرض الإطار التاريخي والسياسي لعهد **عبد الرحمن الناصر**، ثم دراسة مكانة **الجوّاري والمحظيات في بلاطه**، إلى جانب التطرق إلى وضعهن في عهد خليفته هشام بن عبد الرحمن الناصر ولاحقيه في الحكم. أما الجزء الثاني فجاء بعنوان: **دور الجوّاري والمحظيات في عصر الخلافة وأثرهن في الحكم**، وتم خلاله تناول أدوارهن السياسية والاجتماعية، فضلاً عن أدوارهن الثقافية والعلمية، مع إبراز نماذج من الجوّاري اللاتي استطعن بلوغ مكانة مؤثرة داخل البلاط الأموي.

واختُتمت الدراسة بجزئية خصصت للمقارنة بين أدوار **الجوّاري والمحظيات في عصر الإمارة وعصر الخلافة**، وذلك بهدف الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف في مكانتهن وأدوارهن، ورصد مدى تطور حضورهن وتأثيرهن باختلاف الظروف السياسية والاجتماعية التي ميزت المرحلتين.

وفي الختام، جاءت **الخاتمة** متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، والتي تم استخلاصها من خلال تحليل المادة التاريخية ومناقشة مختلف جوانب الموضوع.

كما أُلحقت بالبحث مجموعة من **الملاحق** التي تتضمن بعض الوثائق والمعلومات والمواد ذات الصلة بموضوع الدراسة، تلتها قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز البحث، وأخيراً **فهرس الموضوعات** الذي يوضح محتويات الدراسة وترتيبها.

(9) أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها:

تمت الاستعانة بمجموعة من المصادر والمراجع التي أسهمت في الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع والإجابة عن الإشكالات المطروحة، إذ شكّلت هذه المصادر قاعدة أساسية في جمع المادة العلمية وتحليلها.

ومن أبرز المصادر التي اعتمدنا عليها:

- 1- كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري، حيث استفدنا من عدد من أجزائه لما يتضمنه من مادة غنية ومتنوعة حول تاريخ الأندلس، ولا سيما ما يتصل بالحياة السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية، وما أتاحه من إشارات مهمة حول الجوّاري ومكانتهن وأدوارهن في المجتمع الأندلسي.
- 2- كتاب «الصلة» لابن بشكوال، لما يكتسيه من أهمية في التعريف برجال ونساء الأندلس وترجمة عدد من الشخصيات العلمية والأدبية، وقد أفادنا بصورة خاصة في التعرف على بعض الجوّاري العالمات والأدبيات، ومكانتهن العلمية والاجتماعية خلال عهدي الإمارة والخلافة الأموية في الأندلس.

ومن المصادر المهمة التي أفادتنا في هذه الدراسة كذلك نذكر:

- 3- كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألف» لابن حزم الأندلسي، إذ مكّنا من الوقوف على عدد من الجوانب المتعلقة بالحياة الاجتماعية والثقافية في الأندلس، كما ساعدنا في تتبع بعض مظاهر حضور الجوّاري في البيئة الاجتماعية والأدبية. وتزداد أهمية هذا المصدر بالنظر إلى أن ابن حزم نشأ في بيئة احتكّ فيها بالجوّاري، الأمر الذي أتاح له معرفة جوانب متعددة من حياتهن وعلاقتهن بالمجتمع الأندلسي.

كما استفدنا من بعض الدراسات الحديثة، ومن بينها:

- 4- دراسة «المرأة في الأندلس» لسناء الشعيري، والتي أسهمت في توسيع رؤيتنا حول مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي، ودور الجارية بصورة خاصة، فضلاً عن التعرف على أصول الجوّاري وتنوع تسمياتهن وبعض الأدوار التي اضطلعن بها في مختلف المجالات.

وبالاستناد إلى ما توفر لنا من مصادر ومراجع وكتب ودراسات ومقالات وأطروحات، حاولنا الإحاطة بأهم الجوانب المرتبطة بموضوع الجوّاري في الأندلس، وتتبع مكانتهن وأدوارهن خلال مختلف المراحل التاريخية. كما سعينا إلى إبراز حضورهن في الحياة السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية، والتعرف على تنوع فئاتهن واختلاف تسمياتهن ومكانتهن داخل المجتمع الأندلسي. وإن كنا لا ندّعي الإحاطة الشاملة بكل جوانب هذا الموضوع، فإننا نأمل أن نكون قد أسهمنا، ولو بقدر يسير، في إلقاء الضوء على هذه الفئة ودورها في تاريخ الأندلس، وفتح

المجال أمام دراسات أخرى أكثر تعمقًا في هذا الجانب من التاريخ الاجتماعي والثقافي للأندلس.

(10) الصعوبات:

لا يخلو أي بحث علمي من العديد من الصعوبات والعوائق التي قد تواجه الباحث أثناء إنجازه، خاصة أن العمل البحثي يتطلب الكثير من الجهد والصبر والمثابرة. وقد واجهتنا خلال إعداد هذا البحث جملة من الصعوبات التي يمكن اعتبارها من الأمور الطبيعية في المسار البحثي، تمثلت أساسًا في صعوبة جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع، والوصول إلى المصادر والمراجع المتخصصة التي تخدم جوانبه المختلفة، فضلًا عن تشتت المعلومات وتنوعها، مما تطلب منا جهدًا في جمعها وترتيبها وتصنيفها بما يتناسب مع طبيعة البحث.

كما واجهتنا صعوبة في تحليل المادة العلمية المتوفرة واستخلاص المعلومات المرتبطة مباشرة بموضوع الدراسة، خاصة أن موضوع الجواني في الأندلس لم يحظَ بالقدر نفسه من الاهتمام الذي حظيت به بعض الموضوعات التاريخية الأخرى. ومع ذلك، لم تقف هذه الصعوبات عائقًا أمام إتمام البحث، وإنما كانت جزءًا من المسار الذي تطلب منا مزيدًا من البحث والاجتهاد والمثابرة. وبفضل الله تعالى، تمكنا من تجاوز مختلف هذه الصعوبات ومواصلة العمل إلى أن اكتملت هذه الدراسة في صورتها الحالية، راجين أن نكون قد وفقنا في تحقيق الأهداف التي سعينا إليها من خلال هذا البحث.

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ
الإسلامي

أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي
التعريف اللغوي.

التعريف الاصطلاحي.

ثانياً: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي
مكانة الجوّاري والمحظيات في العصر الجاهلي.
مكانة الجوّاري والمحظيات في صدر الإسلام.

تتمثل أهمية المعاجم اللغوية والقواميس العربية في تقديم تعريفات وشروح دقيقة للمصطلحات المرتبطة بالجواري والإماء، بما يسهم في ضبط دلالاتها والحد من الخلط واللبس الذي قد يكتنف وظائفهن وأوضاعهن داخل المجتمع.

أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي

أ- التعريف اللغوي:

لغويًا، تُعدّ «الجارية» مفرد «الجواري»، وقد وردت لفظة «الجارية» في اللغة العربية بعدة دلالات. فتُطلق على الشمس، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنَاسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَاسِ﴾¹، والمقصود بها النجوم الجارية في أفلاكها. كما يُقال: جَرَتِ السفينةُ جَرًّا، أي سارت ومضت. وتُطلق «الجارية» كذلك على الأمة، وهي المرأة المملوكة، وجمعها إماء، ومفردها أمة. ويُقال: تأمّت المرأة، أي صارت لها أمة، وتأمّ الرجل، أي اتخذ أمة².

وتعرف بأنها الفتاة الشابة من النساء، وقد تُطلق كذلك على الكاعب، أي الشابة التي بلغت سنّ الشباب. وقد أوضح الفيومي أصل تسمية الجارية، فذكر أن «الجارية» تُطلق على السفينة، وسُميت بذلك لجريها في البحر، ومن هذا المعنى أُطلق اللفظ على الأمة تشبيهًا بجريها وانقيادها في خدمة مواليتها وقضاء أشغالهم. ثم توسّع استعمال اللفظ بعد ذلك، فأصبح يُطلق على كل أمة، وإن كانت كبيرة في السن³، و لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾، واتسع استعمال اللفظ ليشمل معاني متعددة، من بينها السفينة والفتية من النساء والأمة. وقيل إن تسمية الأمة بالجارية جاءت تشبيهًا لها بالسفينة في سرعة جريانها، أو لما كانت تقوم به من التنقل والسعي في خدمة مواليتها.

¹ سورة التكويد، الآية 15

² شرقي، نوار. «لمحات من الواقع الثقافي للجواري في الغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين». مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 6، العدد 2، جوان 2023، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص. 119-120.

³ جنان عز الدين شبانة، الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس، رسالة مكملة لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخليل، قسم اللغة العربية، إشراف حسن فليفل، 2005، ص4

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

كما ارتبط لفظ الجارية في بعض الاستعمالات بالسياق الاجتماعي والاقتصادي للرق، إذ كانت الجارية تنتقل من ملكية شخص إلى ملكية شخص آخر عند عرضها للبيع في الأسواق¹.

وعرّف ابن سيده الأندلسي في كتابه المحكم والمحيط الأعظم الجارية بقوله: «الجارية: وهي الفتية من النساء، بيّنة الجارية»².

وقال الزمخشري: «سُميت الجارية لأنها تجري في الخدمة»، وفي المحيط: «إنما سُميت جارية لأنها تجري في الحوائج».

ولم تقدّم المعاجم اللغوية الأخرى توصيفاً محدداً وواضحاً للجارية بوصفها أمةً مملوكة، بل اكتفى بعضها بالإشارة إلى اللفظ في سياق الاشتقاق أو ببيان معناه اللغوي العام، دون تخصيصه بالمرأة المملوكة. ومن ثمّ، يتضح أن الدلالة اللغوية لمصطلح «الجارية» اتسعت لتشمل معنى الفتاة أو المرأة التي تقوم بالخدمة، قبل أن يكتسب اللفظ دلالات اصطلاحية واجتماعية أكثر تحديداً في سياقات الاسترقاق والخدمة³، والجارية في اللغة هي كذلك الفتاة الشابة التي تُباع وتُشتري في سوق النخاسين⁴.

وقد ارتبط هذا اللفظ في الاستعمال العربي بالمرأة المملوكة التي كانت تُعرض للبيع في أسواق الرقيق⁵.

¹ هنادي زعل الهنداوي، «الجوّاري عند التنوخي من خلال كتابه الفرج بعد الشدة»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 11، 30 سبتمبر 2021، وزارة التربية والتعليم، الأردن، ص 24

² أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، المادة (ج ر ي)

³ فريال عبد الرحمن العلي، الجوّاري في الأندلس: جدلية العبودية والإبداع، مجلة التواصل الأدبي، العدد العاشر، جانفي 2018، جامعة أم القرى، الكلية الجامعية بالقفزة، ص. 206.

⁴ النخاس: النخّاس هو التاجر الذي يتولى بيع الرقيق وشراؤه، وقد أُطلقت على هذه التجارة تسمية النخاسة. والأصل في لفظ النخّاس، كما ورد في لسان العرب، أنه يُطلق على تاجر الدواب، ثم اتسع استعماله ليشمل تاجر الرقيق، كما عُرف المتكفل بهذه الحرفة أيضاً باسم الدلال والسمسار. وكان يتعين على النخّاس أن يكون عارفاً بأسرار مهنته، وأن تتوافر فيه مجموعة من الصفات، في مقدمتها الثقة والأدب والعفة، لأنه كان يتولى شؤون الجوّاري، وقد تقتضي ظروف عمله بقاء بعضهن في منزله أياماً، مما قد يفضي إلى الخلوة بهن. كما كان ينبغي أن يمتلك قدرًا من المعرفة الطبية، وأن يكون على دراية بالأمراض التي يمكن أن تصيب القنينة، حتى يتمكن من الاحتياط لها، فضلاً عن مساعدته ذلك في تقدير قيمتها عند البيع والشراء، أنظر: نؤارة شرقي، المرجع السابق، ص 122

⁵ جهاد خاضم العكيلي، أفرح دياب صالح، «الجوّاري في التاريخ ودورهن في الحياة الأدبية والثقافية»، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد 37، 2018، ص. 229.

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

يُطلق الجارية لغةً على الفتاة الشابة، كما تُطلق على الشمس؛ وسُميت بذلك لجريانها وانتقالها من فُطر إلى فُطر، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾¹، كما يُطلق لفظ الجارية على الريح الجارية، ومن ذلك قول الشاعر: «فيومًا تراني في الفريق مُعَقَّلَةً، ويومًا أُباري الرياح جوارية»².

وجاء أيضًا في تعريف الجارية لفظ «الأمّة»، وهي المملوكة خلاف الحرة، أي المرأة التي دخلت في الرق، وجمعها: إماء وآمات. أما في الأندلس، فقد أُطلق لفظ «الأمّة» في بعض السياقات على الجارية التي اتخذت من الغناء والرقص مهنةً لها، وهو استعمال ارتبط بالوظيفة الفنية التي كانت تؤديها بعض الجواري³.

وجاء عند ابن حزم الأندلسي في كتابه طوق الحمامة أن لفظ الجارية لم يكن مقصورًا على المرأة المملوكة، بل كان يُطلق على الحرة والمملوكة على حدٍ سواء. فقد استخدم في بعض المواضع عبارات مثل: «بيعت»، «أعتقت»، و«جارية له»، بما يدل بوضوح على المقصود بالجارية المملوكة. وفي مواضع أخرى، استعمل اللفظ للدلالة على المرأة الحرة، إذ وصف بعض النساء بأنهن من ذوات المناصب والشرف أو من معارفه وقراباته، مما يؤكد اتساع دلالة لفظ الجارية عند ابن حزم وعدم اقتصره على معنى العبودية⁴.

وعند استقراء التعريفات السابقة، يتضح أن لفظ الجارية ارتبط في دلالاته اللغوية بمعنيين أساسيين؛ يتمثل أولهما في صغر سنّها، بينما يرتبط الثاني بوظيفتها القائمة على الخدمة وقضاء حوائج من تقوم على خدمتهم. إلا أن هذه التعريفات تظل محدودة في بيان طبيعة الأدوار الأخرى التي اضطلعت بها الجواري، ولا تكشف بصورة واضحة عن مكانتهن أو إسهامتهن في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية⁵.

ب- التعريف الاصطلاحي:

تُعَدّ الجارية من أكثر المصطلحات استعمالاً في المصادر التاريخية، وهي تسمية شملت أعراقًا وأجناسًا متعددة. ويُقصد بالجارية في الأدبيات التاريخية الأنثى

¹ سورة يس، الآية 38

² هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 24

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 3

⁴ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفه والألأف، تحقيق إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1993، ص. 28.

⁵ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 206

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

التي فقدت حريتها، وأصبحت في ملك غيرها، وسُخِّرَتْ لتلبية حاجات مالكيها وسادتها، وفقاً للوظائف والأدوار التي أُسندت إليها داخل المجتمع¹.

يطلق العرب لفظ الجارية على الفتاة الحرة وغير الحرة، غير أن هذا اللفظ مع مرور الزمن أصبح يُطلق بصورة خاصة على الأنثى التي استُرقت في الحروب والمعارك، أو التي وُلدت لأمة وعبد، ويرادف لفظ الجارية في هذا السياق لفظ القينة، وهي الأمة التي قد تكون مغنية أو غير مغنية، وجمعها قيان. ومن ترادفاتها أيضاً السُرِّيَّة، وهي المرأة التي يتخذها الرجل للتسرِّي والترفيه، بعيداً عن أعين زوجته؛ وقد اشتُق اسمها، وفق بعض الآراء، من لفظ «السِرّ»، في حين يرى آخرون أنها سُميت بذلك لما تُدخله من السرور على صاحبها².

ويبدو أن المراد بالجارية عادةً أنها تجمع بين صغر السن والجمال، وأنها كانت تُستعمل للخدمة، فضلاً عن إتاحة الاستمتاع الجنسي بها في سياق نظام الرق. وقد غلب على تعريف الجارية ارتباط اللفظ بمعاني الرقة واللين والحدأة، بما جعل الكلمة تختزل مجموعة من الصفات التي كان يُنظر إليها بوصفها محبذة في المرأة من منظور الذكر³.

ويطلق العرب لفظ الجارية على الفتاة الحرة وغير الحرة، إلا أن استعماله مع مرور الزمن أصبح يقتصر غالباً على الأنثى المستركة التي أُسرت في الحروب والمعارك، أو التي وُلدت من أمة وعبد. ومن الألفاظ المرادفة لها القينة، وهي الأمة التي تمتهن الغناء، وقد يطلق اللفظ أيضاً على الأمة وإن لم تكن مغنية، وجمعها القيان. كما يرد مصطلح السُرِّيَّة للدلالة على الأمة التي يتخذها الرجل للاستمتاع بها دون عقد زواج كما ذكرناها سلفاً، وقد اختلفت الآراء في أصل التسمية؛ فمنهم من يرى أنها مشتقة من السِرّ لكونها تُتخذ بعيداً عن أعين الزوجة، ومنهم من يرى أنها سميت بذلك لأنها تُدخل السرور على سيدها. ومن المصطلحات المرتبطة بها أيضاً أم الولد، وهي الأمة التي تنجب من سيدها، وقد قررت الشريعة الإسلامية لها أحكاماً خاصة، فلا يجوز بيعها بعد أن تلد لسيدها، وتعتق بوفاته وفق رأي جمهور الفقهاء. وقد حظيت الجواري بمكانة وأدوار متعددة في المجتمعات الإسلامية، فلم

¹ سولف فيض الله، دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط1، 2016، ص. 33.

² شهلة برهان، «دور الجواري في عهد الدولة الأيوبية (569-607هـ/1174-1228م)»، مجلة آداب البصرة، العدد 108، جويلية 2024، ص208

³ وفاء الدريسي، الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية: مقاربة جندرية، دار مأمون للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، دار مأمون بلا حدود للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2016، ص

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

يقتصر وجودهن على جانب واحد، بل تنوعت وظائفهن وأدوارهن الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تبعاً للظروف التاريخية وطبيعة المجتمع¹.

أما الجارية في الإسلام، فيُقصد بها المرأة المملوكة التي دخلت في الرق نتيجة لأسباب أقرتها الأحكام والأنظمة السائدة في ذلك العصر، ومن أبرزها السبي في الحروب. وقد عُرفت الجوّاري بعدة أصناف تبعاً للوظائف والأدوار التي أسندت إليهن، فمنهن جوّاري المتعة، وجوّاري الخدمة، وأمّهات الأولاد².

وبالعودة إلى لفظ الجارية جاء أيضاً أنه يرتبط بكونها أنثى فقدت حريتها وأصبحت مسخرة لخدمة سيدها وتلبية أوامره، في حين ارتبط لفظ «القينة» بصناعة الغناء والطرب بالدرجة الأولى، بينما غلب على لفظ «السُّرِّيَّة» ارتباطه بعلاقة المتعة. أما لفظ «الأمّة» فيشير إلى المرأة المملوكة، وقد ارتبط في بعض السياقات بممارسة الغناء والرقص في الأندلس. وأما «الرقيق» فهو لفظ عام يُطلق على الرجال والنساء من المماليك والعبيد، ولذلك فهو أوسع دلالة من الألفاظ السابقة وأقل تحديداً من حيث الجنس أو الوظيفة. وقد أُطلق لفظ «الجارية» في قرطبة، على الفتيات والشابات اللاتي اتصفن بصفات ارتبطت بصورة الجوّاري في المجتمع الأندلسي، كبياض البشرة، وشقرة الشعر، وزرقة العينين، إلى جانب سعة الثقافة، ورقة العاطفة، والتمكن من الموسيقى والشعر والغناء³.

وعلى هذا النحو نجد أن كل نواع هذه الجوّاري دخلت الجوّاري إلى الأندلس منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، سواء في صورة سبائا حرب، أو عن طريق التجارة التي مارسها الأندلسيون وغيرهم من التجار القادمين من المشرق وأوروبا. واستمر تدفق الجوّاري إلى الأندلس خلال مراحل تاريخية متعاقبة، بدءاً من الفتوحات الأولى، ومواجهاتهم للمعتدين على الثغور، وصولاً إلى جهاد المسلمين لاسترداد المدن التي سقطت في أيدي الإسبان. وقد تباين عدد الجوّاري الوافدات إلى الأندلس عن طريق الحروب تبعاً للظروف السياسية والعسكرية، وبخاصة قوة حكام الأندلس وقدرتهم على تنظيم الجيوش وقيادة الحملات العسكرية. فكلما كان الحكم قوياً ومستقرّاً، أمكنه إعداد الجيوش والخروج إلى الجهاد، وهو ما كان يترتب عليه الحصول على الغنائم، وكانت الجوّاري من بين ما يدخل ضمن هذه الغنائم⁴.

وقد تحدثت المصادر عن تعدد الجهات التي وفدت منها الجوّاري إلى المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام، إذ مثلت هذه الظاهرة جانباً اجتماعياً

¹ شهلة برهان عبد الله، المرجع السابق ص. 208

² ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص 33

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 4

⁴ نفسه، ص 19

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

واقتصاديًا وثقافيًا كان له أثر واضح في الحياة العامة، وقد تعددت مصادر الجواري، ومن أبرزها: حركة الفتوحات الإسلامية، والتجارة، والهدايا.

1- حركة الفتوحات الإسلامية:

كانت الفتوحات الإسلامية منذ عهد الخلافة الراشدة واستمرارًا خلال العصر الأموي والعباسي من أبرز مصادر الجواري، إذ ترتب على الحروب والعمليات العسكرية أسر أعداد من النساء في المناطق التي دخلت تحت الحكم الإسلامي. وقد أصبحت الأسيرات، وفق النظم السائدة آنذاك، جزءًا من نظام الرق، وانتقل عدد منهن إلى مراكز المدن الإسلامية الكبرى، حيث جرى تداولهن في أسواق النخاسة التي عُرفت في عدد من الحواضر، ومن أبرزها بغداد والبصرة والكوفة، والتي كانت من المراكز التجارية المهمة في تلك الفترة. ولم يقتصر وصول الجواري على منطقة واحدة، بل تنوعت أصولهن تبعًا لاتساع رقعة الفتوحات واتصال الدولة الإسلامية بمناطق وشعوب متعددة¹.

وبهذا فإن الحروب التي خاضتها الدولة الإسلامية في مختلف الاتجاهات، شرقًا وغربًا وشمالًا، منذ قيامها، من أبرز مصادر الحصول على الأسرى والسبايا الذين دخلوا في عداد الرقيق والجواري. وقد استمر هذا النشاط العسكري خلال العهد الأموي بكثافة واتساع ملحوظين، مما أدى إلى جلب أعداد كبيرة من الأسرى والسبايا إلى مختلف أقاليم الدولة. وأسهم تدفق هذه الأعداد في زيادة أعداد الرقيق والجواري وتوسع انتشارهم في المجتمع، كما انعكس ذلك على قيمتهم في الأسواق، حيث أدى وفرة المعروض في بعض الفترات إلى انخفاض أسعارهم وتيسير الحصول عليهم².

فقد جُلب الرقيق إلى الأسواق الإسلامية عن طريق أسرى الحروب التي خاضها المسلمون في إطار الفتوحات الإسلامية، وقد شكّلت هذه الفتوحات مصدرًا مهمًا لتوفير الرقيق. غير أن أعداد الأسرى والرقيق أخذت في الانخفاض تدريجيًا مع توقف الفتوحات الإسلامية وتراجع وتيرتها³.

وقد كان أسر النساء في الحروب يُعدّ جزءًا من النظام العسكري والاجتماعي السائد آنذاك، إذ كانت الغنائم تُقسّم بين أفراد الجيش والدولة وفقًا للأعراف والنظم المعمول بها، وكانت الجواري يُعتبرن جزءًا من هذه الغنائم. ومن ثم، لم تكن

¹ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف، القاهرة، دت، ج7، ص123.

² هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 24

³ نورة بنت إبراهيم الدوسري، خدم دار الخلافة ودورهم السياسي والحضاري في العصر العباسي الثاني (232-656هـ/847-1258م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية، إشراف لميع بنت أحمد الشافعي، 1436هـ/2015م، ص. 26.

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

الفتوحات الإسلامية مجرد وسيلة للتوسع السياسي والاقتصادي، بل أسهمت أيضاً في تدفق أعداد من الجوّاري إلى مراكز الدولة الإسلامية، قادمين من مناطق واسعة شملت الفتوحات، مثل بلاد ما وراء النهر والأناضول والشام ومصر وغيرها¹.

وعليه فقد اتخذ الأندلسيون جواريتهم من سبايا الحروب التي دارت بينهم وبين الإسبان خلال سنوات الصراع الطويلة، كما وفدت إلى الأندلس أعداد من الجوّاري الشرقيّات والبربريات والحبشيّات منذ بدايات تأسيس الإمارة. وشكّلت المناطق والبلدان المجاورة للأندلس، إلى جانب مناطق أوروبية أخرى مثل ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وروسيا، مصادر مختلفة للجوّاري اللاتي وصلن إلى الأندلس، سواء عن طريق السبي أو التجارة أو غيرها من طرق انتقال الرقيق².

ولا يفوتنا أن نذكر أن عدداً من أجود الجوّاري والقيّنات في الأندلس كانت أصولهن من المشرق الإسلامي؛ فقد أورد العلامة المقرئ التلمساني في كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب أسماء طائفة من الجوّاري والمحظيات اللاتي استُقدمن من المدينة المنورة على يد نخّاسين، أرسلهم الأمير عبد الرحمن الأوسط لهذه المهمة. وقد أسهم انتقال هؤلاء الجوّاري من حواضر المشرق الإسلامي إلى الأندلس في إثراء الحياة الفنية والأدبية، ولا سيما في مجال الغناء ومجالس الأُنس³.

2- التجارة الدولية:

أدّت التجارة الدولية دوراً محورياً في جلب الجوّاري إلى مختلف مناطق العالم الإسلامي، إذ كان التجار يتنقلون بين الأقاليم والمراكز التجارية المختلفة، حاملين معهم أنواعاً متعددة من السلع والبضائع، وكانت الجوّاري من بين ما يُتداول في الأسواق ويُقبل عليه المشترون. وقد ساهم اتساع النشاط التجاري وتطور طرق التجارة في انتقال الجوّاري بين المناطق المختلفة، واستمرت هذه الظاهرة خلال العصر العباسي، حيث أصبحت تجارة الرقيق جزءاً من النشاط الاقتصادي والاجتماعي في عدد من المدن والمراكز التجارية⁴، ومنذ ذلك فقد شهدت تجارة الجوّاري في الأندلس تدفقاً مستمراً، إذ كانت الأندلس تستقبل أعداداً من الجوّاري عبر طرق تجارية متعددة، ترتبط بعضها بالمشرق الإسلامي، حيث كان التجار يجلبون الجوّاري من مختلف المناطق، ومن بينهم الجوّاري ذوات الثقافة والتعليم، فضلاً عن الجوّاري السود. كما ارتبطت الأندلس بشبكة من طرق التجارة القادمة من أوروبا، والتي امتدت عبر مناطق مختلفة من القارة الأوروبية. كذلك أسهم التجار البيزنطيون في تنشيط تجارة الرقيق، إذ كانوا يشنون الغارات على سواحل

¹ أحمد أمين، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج2، دت، ص70.

² ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الدكتور الطاهر أحمد مكي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص 53

³ سناء الشعيري، المرجع السابق، 440

⁴ صبا طلال زهيري، المرجع السابق، ص 15

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

البحر الأسود، ويأسرون السكان ثم يعرضونهم للبيع في أسواق الرقيق. وإلى جانب ذلك، كانت الأندلس تستقبل بعض الأسرى الذين كان القراصنة يأسرونهم من السواحل الإسبانية ويبيعونهم في الأسواق الأندلسية، مما جعلها مركزاً مهماً لتجارة الرقيق والجوّاري في حوض البحر المتوسط¹.

عُدّت المدن الأندلسية أسواقاً نشطة لتجارة الرقيق، إذ استُغلت مكانة الأندلس وموقعها الجغرافي في تنشيط تجارة الجوّاري، ولا سيما الجوّاري اللواتي امتلكن الثقافة العربية والمشرقية من جهة، كما استفاد التجار من موقع الأندلس في أوروبا وطرق اتصالها بالشرق، فوصلت إليها مختلف أصناف الرقيق، واستقرت في مدنها التي اختص بعضها بأنواع معينة من الجوّاري. فقد اشتهرت قرطبة بتجارة الجوّاري المغنيات، حتى إن أمير قرطبة تلقى ثلاث رسائل في يوم واحد من الأمراء يطلبون جوّاري موسيقيات.

كما بدأت الأندلس بتصدير ما لديها من السبي إلى مصر، وحتى أقاصي خراسان، وكان سبي الفرنج والجليقية² وخصيان الصقالبة من أشهر ما صدرته الأندلس من الرقيق، بالإضافة إلى الجوّاري الروميات والأندلسيات³.

وكان إقبال الأندلسيين على الجوّاري الصَّقَلِيَّات أكثر من غيرهن. ولم تكن عملية شراء الجارية أمرًا يسيرًا، بل كانت تمر بعدة مراحل متتابعة؛ تبدأ باختيار الجارية والتعرّف إلى حالها والتأكد من خلّوها من العيوب، ثم الاتفاق على ثمنها وإبرام عقد البيع والشراء، وأخيرًا اصطحاب الجارية إلى المنزل وتعريفها بالقهرمانة، إن وُجدت⁴.

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 21

² الجليقية: تُعدّ الجليقية من البلاد التي ورد ذكرها في المصادر الجغرافية القديمة، ويُنسب أهلها إلى الجلائقة من ولد يافث بن نوح عليه السلام. وكانت تُعرف باسم «جليقية»، وتقع في جهة الغرب مع ميلٍ نحو الشمال، في نواحي مدينة براقة الواقعة في وسط المغرب. وتميزت طبيعة البلاد بسطحها السهلي الذي غلبت عليه الأراضي الرملية، كما اعتمد سكانها على الزراعة، وكان من أبرز محاصيلهم الدخن والذرة. واشتهر أهلها كذلك بصناعة شراب التفاح واتخاذه من أهم أشربتهم، أما من الناحية العمرانية والجغرافية، فقد كانت مدينة أقش قاعدةً للبلاد، وشيّدت في سهل واسع على نهر كانت تدخله المراكب،

كما عُرفت المنطقة بوجود ينابيع حارة واسعة الفضاء، أقام السكان في محيطها مع الابتعاد عن منابعها لشدة حرارتها. وتمتد أحواز الجليقية شمالاً إلى البحر والمحيط، وجنوباً إلى أحواز مدينة تلسونة، مما جعلها منطقة ذات موقع جغرافي مميز واتصال بالمجال البحري، أنظر: ابن القوطية محمد بن عمر القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، شرح وتحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1994م، ص 223-224.

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 84 - 85

⁴ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 84

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

كما عُرف اليهود الأندلسيون باهتمامهم بتجارة الرقيق الداخلية، إذ أسهموا في نقل الجواري وتداولهن بين مختلف مناطق الأندلس، مما جعلهم طرفاً فاعلاً في حركة تجارة الرقيق داخل البلاد¹.

أما طريقة بيع الرقيق، فكانت تتم غالباً عن طريق الدلال، الذي كان يعرض الجارية أو الغلام في الأسواق، وينادي عليه بذكر محاسنه وصفاته ومهاراته، وقد يصف جمال الجارية بالشعر، ويُظهر محاسنها بالنظر إليها وتحريك وجهها يميناً ويساراً وإدارتها أمام المشتريين. وكان الدلال يستخدم عبارات المساومة والحث على زيادة السعر، فيقول مثلاً: «من زاد فاز بدرة يتيمة وعاد بأوفى غنيمة». أما بالنسبة إلى أسعار الرقيق²، فلم تكن محددة بثمن ثابت، وإنما كانت تختلف باختلاف صفات الجارية أو الغلام ومهاراته وأصله. فكلما كان الرقيق أكثر ذكاءً ونجابةً وحُسناً أو إقبالاً، ارتفع ثمنه، كما كان موطنه يؤثر في قيمته؛ فعلى سبيل المثال، بلغ ثمن شراء الجارية التركية ما بين مئة ألف ومئتي ألف درهم³. وأهتم النخاسين لهذه المهمة ومن بين الشخصيات التي عُرفت باهتمامها بتعليم الجواري وتثقيفهن، المطبّب النخّاس⁴، الذي كان يفاخر بما بلغه بعض الجواري من علم وثقافة، ومن ذلك قوله: «وفي ملكي الآن أربع روميات، كنّ بالأمس جاهلات، وهن الآن عالمات حكيّات، فيلسفيات، هنديات وموسقيات، وصرفيات، نحويات، عروضيات، أدبيات، خطاطات، يدل على ذلك دواوين كبار التي ظهرن بخطوطهن، في معاني القرآن وغرائب، وغير ذلك من الفنون والعلوم العربية من الأنواع والأعراض والأحياء، وكتب المنطق والهندسة وسائر المعارف»⁵.

3- الهدايا:

بدأ تاريخ التهادي بالجواري منذ الأيام الأولى للفتوحات الإسلامية في الأندلس، فقد أهدى عبدة بن عبد الرحمن إلى الخليفة هشام بن عبد الملك عددًا من العبيد، والخصيان، والذهب والفضة، وسبعمئة جارية مختارة. كما أُهديت جارية

¹ ولتفاصيل أكثر حول موضوع تجارة اليهود في الأندلس، أنظر: أوليفيا ريمي كونستبل، التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة: فيصل عبد الله، ط1، مكتبة الكبعيان، السعودية، 2002، ص 145 - 158

² لتفاصيل أكثر حول موضوع الجواري وتجارتهن وكيفية تحديد الأسعار التي بيعت بها الجارية، أنظر: هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 24 - 25

³ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 31 - 32

⁴ النخّاس: يُطلق على التاجر الذي كان يتولى شراء الجواري وبيعهن اسم النخّاس، وهو من تجار الرقيق الذين تخصصوا في بيع العبيد والإماء في الأسواق، أنظر: هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 24

⁵ نورة شرقي، المرجع السابق، ص 124

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

إلى الأمير عبد الرحمن الداخل عند دخوله أرض الأندلس، إلا أنه رفض قبولها وأعادها إلى صاحبها¹.

كما كان من مصادر حصول الخلفاء والأمراء على الجواري الهدايا التي كانت تُقدَّم إلى بلاطهم من قبل الوزراء والعمال والتجار وغيرهم، حيث شكَّلت الجواري إحدى صور الهدايا التي كانت تُتبادل بين أصحاب النفوذ وأفراد الطبقات الميسورة².

ومن مظاهر ذلك أن ابن شهيد أهدى الخليفة الناصر عشرين جاريةً مختارة، مع كسوتهن وآلاتهن الموسيقية³.

كما دخلت أعداد كبيرة من الجواري إلى الأندلس عن طريق الهدايا التي كانت تُقدَّم إلى الحكام والأمراء، إلى جانب وصولهن عبر تجارة الرقيق. وتشير بعض الروايات إلى أن التجار البيزنطيين كانوا يجوبون سواحل البحر الأسود، فيأسرون النساء ويبيعونهن في أسواق الرقيق، ومن بينها الأسواق التي ارتبطت بالأندلس، التي عُدَّت من الأسواق النشطة في تجارة الرقيق خلال تلك الفترة⁴.

كان إهداء الجواري يهدف إلى توطيد عرى المحبة والمودة، أو التعبير عن الثناء والتقدير، أو تحقيق بعض الأهداف والمصالح الشخصية. ومهما اختلفت الدوافع وراء هذا الإهداء، فإن اقتناء الجواري كان يسهم في تنشيط الحركة الاقتصادية في سوق الرقيق، ومن ثمَّ في تنشيط الحركة التجارية في الأسواق الأندلسية عامةً. ومن الواضح أن هذا النوع من الإهداء كان أحد مظاهر المجتمع الأندلسي الذي اتسم بالسعي إلى الفخامة والأبهة، وهي مظاهر تطلبت إنفاقاً كبيراً، وكان لها أثر في الحياة الاقتصادية بالأندلس⁵.

ونُفيل القول بأن الجواري كنَّ منذ القدم مقصداً للرجال، حكماً ومحكومين، في مختلف الحضارات والأمصار والعصور، وذلك لاعتبارات متعددة، اختصرها الجاحظ في قوله: «من أراد قلة المؤونة، وخفة النفقة، وحسن الخدمة، وارتفاع الحشمة، فعليه بالإماء دون الحرائر»⁶.

ثانياً: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

أ. مكانة الجواري والمحظيات في العصر الجاهلي:

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 92

² نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 28

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 92

⁴ مراد دقاق، ملامح الشعر الأندلسي، مطبعة جامعة حلب، سوريا، ط3، 1978، ص. 43

⁵ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 93

⁶ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب المحاسن والأضداد، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1969، ص. 203.

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

وفي العصر الجاهلي، كانت الجارية تُعدّ من الإماء، وارتبط مفهومها بالعبودية والرق، إذ كانت الأمة تُطلق على المرأة المملوكة في مقابل الحرية. وقد جاء في لسان العرب أن الأمة هي «المملوكة خلاف الحرة»، كما أشار الزمخشري إلى إمكان انتقال المرأة بين حالتَي الحرية والعبودية بقوله: «كانت حرة فتأمت». وبذلك، يتضح أن الأمة قد تنتقل من الرق إلى الحرية إذا أُعتقت، في حين قد تنتقل الحرة إلى حالة العبودية، ولا يكون ذلك إلا في سياق السبي¹.

وبالنسبة لحياتهم العامة فكانت العلاقة الأساسية التي جمعت بين الجواري والرجال في الجاهلية تقوم أساساً على الإعجاب الجسدي، وما يرتبط به من الرغبة والاشتهاء².

فكانت الجارية مهمّشة في العصر الجاهلي، ومن ذلك ما ترويه بعض الأخبار عن جارية حاذقة بالغناء، كانت تهوى فتىً من فتيان قريش، فلا تكاد تفارقه ولا يفارقها، حتى ملّها الفتى، في حين ازداد تعلّقها به، فأسفت وغارت واشتد بها الوجد، ولم تجد من يُعنى بحالها أو يلتفت إلى معاناتها. وتروي الأخبار أيضاً قصة جارية أخرى رفض سيدها بيعها لمن أحبها، إضراراً به وحسدًا له، رغبةً في الاحتفاظ بها ضمن ملكه. ومن هنا يتضح أن الجارية كانت تعاني تهميشًا مضاعفًا؛ فهي امرأة من جهة، ومملوكة من جهة أخرى، الأمر الذي جعلها عرضةً لمختلف أشكال القهر والإهانة.

وقد تجلّى هذا القهر في صور متعددة، من الضرب والتعنيف والإجهاد إلى التحقير المعنوي، بما جعل الجارية تعيش ضمن عالم الإنسان المقهور، وهو عالم تُنزع فيه الكرامة الإنسانية بمختلف صورها، ويتحول فيه الإنسان من كائن يمتلك إرادته وذاته إلى مجرد شيء أو أداة أو وسيلة في يد غيره³.

لم يكن المجتمع الجاهلي خاليًا من الممارسات والعادات التي عُدت من أبرز مظاهر الانحراف الاجتماعي في ذلك العصر، ومن أهمها شرب الخمر والقمار وسبي النساء. وقد عالج القرآن الكريم عددًا من هذه الممارسات بالنهي والتحريم، ووضع الإسلام لها أحكامًا وعقوبات تهدف إلى الحد منها والقضاء عليها.

أما المرأة ومكانتها في المجتمع الجاهلي، فقد تباينت أوضاعها بين الحرية والأمة، وكانت الإماء والجواري حاضرات في المجتمع بصورة واضحة.

¹ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 206

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 34

³ وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 175

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

وكانت المرأة الحرة تضطلع أساسًا بالمهام المنزلية، كإعداد الطعام ورعاية شؤون الأسرة، مع وجود نساء من ذوات المكانة الاجتماعية الرفيعة ممن حظين بالتقدير والخدمة.

وعلى الرغم من أن المرأة لم تكن مهمشة بصورة مطلقة في المجتمع الجاهلي، فإنها كانت تفتقد العديد من الحقوق التي كفلها لها الإسلام لاحقًا.

كما عُرفت في بعض البيئات الجاهلية ممارسة وأد البنات، وهي عادة ارتبطت بجملة من الأسباب والدوافع، من بينها الخوف من الفقر أو العار أو وقوع الفتاة في السبي، الذي كان يُنظر إليه عند بعض القبائل بوصفه عارًا شديدًا يلحق بالأسرة والقبيلة. وقد جاء الإسلام فرفض هذه الممارسة وحرّمها، مؤكدًا حرمة قتل النفس وصيانة كرامة الإنسان¹.

وقد كانت الخدمة المنزلية من أبرز الوظائف التي مارستها الجواري، إذ اضطلعن بعدد من المهام اليومية داخل البيوت والقصور، من إعداد الطعام وتنظيم شؤون المنزل إلى رعاية الأطفال والاهتمام باحتياجات سيدات القصور وأسرهن. وقد جعلتهن هذه المهام جزءًا من الحياة اليومية داخل البيوت، وأسهمت في ارتباطهن بمختلف جوانب الحياة الأسرية والاجتماعية².

وجد السادة وأصحاب المؤلفات المصنفة في أحوال العبيد أنفسهم إزاء أصناف مختلفة من المملوكات، وهو ما أفضى إلى اختلاف في كيفية توظيف الإماء واستغلالهن. فهل كانوا يعاملونهن على قدم المساواة، باعتبارهن نساءً مملوكات يصلحن للخدمة أو للمتعة، أم اتبعوا نهج من سبقهم في التمييز بينهن، وفقًا لمعايير تتعلق بالجمال والمكانة والوظيفة، فيميزون بين الجميلات والقيحات، وبين المحظيات والخادومات؟

وقد عُرف في العصر الجاهلي تمييز واضح بين الجواري، وكان اللون أحد المعايير التي اعتمدت في هذا التمييز؛ إذ حظيت الجواري البيضاء بتقدير أكبر، لارتباط البياض في المخيال الجمالي العربي آنذاك بمقومات الجمال والحسن. ولذلك تغنى الشعراء بجمالهن وبياض بشرتهن، وشُبه بعضهن بالخور العين، وهو ما يعكس المكانة الجمالية التي حظيت بها الجارية البيضاء. كما بالغ بعض الرجال في اقتنائهن، نظرًا لما ارتبط بهن من تصورات جمالية³.

¹ نور الهدى حيدر، الحياة الجاهلية: نظامها، معيشتها، دينها، لهجتها، أدبها، ط 1، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، ص 1

² ابن الاثير، المصدر السابق، ج 6، ص 220

³ وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 116

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

أما الجوّاري السوداوات، فقد ارتبط حضورهن في كثير من الأحيان بالأعمال المنزلية والخدمية الشاقة، مثل جلب الماء ومساعدة السيد في قضاء شؤونه اليومية، في حين كان حضورهن في مجال الحظوة والمتعة أقل مقارنة بالجوّاري البيض. ويكشف ذلك عن أثر اللون في تحديد المكانة الاجتماعية والجمالية للجارية، في مجتمع ارتبطت فيه بعض التصورات السلبية بالسواد وبفئة العبيد، وهو ما أسهم في ترسيخ

التمييز بين الجوّاري على أساس اللون إلى جانب معايير أخرى، كالجمال والوظيفة والمكانة¹.

كان السيد في العصر الجاهلي، إذا ضاق به الحال واشتدت حاجته، قد يلجأ إلى بيع بعض ما يملك من متاع وثياب وأثاث، بل قد يضطر أحياناً إلى بيع جاريته. وكان بيع الجارية قد يثير في نفسه الألم والحزن، ولا سيما إذا كان قد اعتاد صحبتها أو تعلق بها، غير أن ضيق الحال كان يدفعه إلى ذلك، فيلتمس العذر لنفسه بما ألمّ به من فقر وحاجة. وقد عبّر الشعراء عن هذا الشعور في عدد من الأشعار، ومن ذلك قول الشاعر:

ولولا قعودُ الدهرِ بي عنكِ لم يكنْ يفرّقنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذري»².

رغم ما كان يعتري بعض الرجال في العصر الجاهلي من حزن وألم عند بيع محظياتهم، فإن الأمر كان يختلف في حالة جوّاري المتعة؛ إذ قد يُقيم الرجل على هبتهن للضيف الذي نزل به، ويقدمهن إليه عن طيب خاطر، في إطار ما عُرف من إكرام الضيف وإظهار الكرم. وقد عُدَّ هذا السلوك، في بعض السياقات، وسيلة للتعبير عن قدرة الرجل على ضبط عواطفه والتحكم في رغباته، والتأكيد على أنه قادر على التغلب على تعلقه بالجارية، كما يتضح في قول أحدهم: «خذها ويحك على عجبى بها، ليعلم هواي أنني غالب».

ومن ثم، فإن تخلي السيد عن جاريته، طوعاً أو كرهاً، لم يكن مرتبطاً دائماً بالحاجة المادية، وإنما قد يحمل أيضاً دلالة اجتماعية تتصل بصورة الرجل ومكانته داخل المجتمع؛ إذ يسعى من خلال ذلك إلى إثبات قدرته على السيطرة على نفسه وعدم الاستسلام لعاطفته أو التعلق بامرأة. ويكشف هذا السلوك عن اختلاف التصورات الاجتماعية بين الرجال والنساء، حيث ارتبطت المرأة، في بعض التصورات السائدة، بصفات الوفاء والتشبث بالعلاقات العاطفية، في حين عُدَّ تجاوز الرجل، وفي كثير من الأحيان، كان السيد يشتري الجارية وهو يعلم أنها ربما عاشت علاقات سابقة مع غيره، غير أن بعض التصورات المرتبطة بالسلطة

¹ نفسه، ص 116

² وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 172

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

والذكورة كانت تدفعه إلى محاسبتها على ماضٍ لم يكن لها في الغالب قدرة على التحكم فيه. وكانت الجواري، على وجه الخصوص، أكثر عرضة لهذا النوع من التعامل بحكم انتمائهن إلى منظومة الحريم، التي ارتبطت في المجتمع القديم بملكية الرجل وسيطرته، الأمر الذي جعل أي مشاركة سابقة أو لاحقة في حياة الجارية تُفهم أحياناً بوصفها مساساً بسلطته ومكانته.

كما تجلت سلطة السيد على جاريته في صور العقاب التي كان يفرضها عليها، والتي تفاوتت في شدتها، بدءاً من الضرب وصولاً إلى أشكال أخرى أكثر قسوة. ويكشف ذلك عن طبيعة العلاقة غير المتكافئة بين السيد والجارية، حيث أتاحت لها ملكية السيد سلطة واسعة في التأديب والعقاب. ومع ظهور الإسلام، جرى التضييق على مظاهر العنف وسوء المعاملة، والحث على الرفق والإحسان إلى المملوكين، والدعوة إلى عتقهم، بما أسهم في إعادة تنظيم العلاقة بين السيد والجارية ضمن ضوابط دينية وأخلاقية جديدة¹.

وعليه، يمكن وصف وضع الجارية في العصر الجاهلي بأنه شكل من أشكال الموت الاجتماعي وهي على قيد الحياة، نتيجة اجتماع صفتين جعلتاها أكثر عرضةً للتهميش والقهر، هما الأنوثة والعبودية. ومع ذلك، لم تكن الجارية دائماً مستسلمة لهذا الوضع، بل حاولت في كثير من الأحيان التعبير عن رفضها وتذمرها من سيدها ومن مطالبه، سواء بصورة سرية أو علنية؛ إذ لا يمكن أن توجد هيمنة دون أن تقابلها، بدرجات متفاوتة، أشكال من المقاومة الخفية أو الظاهرة.

وتورد بعض الأخبار نماذج تعبر عن هذا الرفض، فقد تمتعت إحدى الجواري، بعد أن جلدتها سيدها، قائلة: «الخيرة والله في فراقك، ما تقر عين أحد بصحبتك»، في حين عبّرت جارية أخرى عن تبرّمها صراحةً من سلوك سيدها قائلة: «ما لقيت منك ما زلت تقاطعني عما يشغلني فيما ينفعك ولا ينفعني».

وتكشف هذه الأقوال عن محاولة الجارية استعادة قدر من صوتها وإرادتها في مواجهة سلطة السيد، رغم محدودية قدرتها على تغيير واقعها الاجتماعي والقانوني².

ومن مظاهر الظلم الذي تعرض له العبيد أيضاً ما ارتبط بفئة الغلمان (هنا نخصص الحديث عن فئة الذكور) من صور الاعتداء والاستغلال، ومن ذلك ما ترويّه بعض الأخبار عن مراودة أحد الغلمان لسيدته، وهي صورة تشير إلى أن العلاقات بين السيدات وعبيدهن كانت حاضرة في بعض الروايات التاريخية منذ عصور مغلّة في القدم، بما فيها ما سبق عصر النبي يوسف عليه السلام. وقد

¹ نفسه، ص 174

² وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 176

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

ترتب على هذه الحادثة أن أقدم سيد الغلام على معاقبته والانتقام لشرفه، فكان من جملة العقوبة أن جُرِدَ الغلام من علامة رجولته.

غير أن هذه العقوبة لم تؤدِّ إلى اعتراف الغلام بذنبه أو قبوله بما وقع عليه، بل خلّفت لديه شعورًا عميقًا بالغضب والحقد تجاه سيده، الذي أصبح في نظره سببًا في إقصائه عن عالم الفحولة وحرمانه من إحدى أبرز علامات رجولته. ومن ثم، تحولت العقوبة الجسدية إلى محنة ذات آثار نفسية واجتماعية عميقة، دفعت الغلام إلى التفكير في الانتقام من سيده، فتدبر مؤامرة انتهت إلى قتله، ثم أقدم على قتل أبنائه أيضًا، بعد أن خيّر سيده بين التضحية بأبنائه وبين الخضوع للعقوبة التي كان يهدده بها.

وتكشف هذه الرواية، بصرف النظر عن تفاصيلها، عن الأبعاد المتعددة للعقوبات التي كان يتعرض لها العبيد؛ فهي لم تكن تقتصر على الألم الجسدي، وإنما كانت تمس كذلك الكرامة والهوية الاجتماعية والشعور بالرجولة، وهو ما يجعلها محنة ذات أبعاد نفسية واجتماعية، فضلاً عن أبعادها الفسيولوجية. كما تكشف عن إمكانية تحول القهر الجسدي والنفسي إلى شعور بالانتقام والثأر تجاه مصدر السلطة والقهر¹.

ب- مكانة الجوّاري والمحظيات في صدر الإسلام:

جاء الإسلام فأقر للعبيد والجوّاري جملةً من الحقوق والامتيازات، وألزمهم في المقابل ببعض الواجبات وتحمل تبعات أفعالهم وأخطائهم، بما يتناسب مع طبيعة نظام الرق في ذلك العصر. كما حثّ الإسلام على عتقهم ورغب فيه، وتورد المصادر عددًا من القصص التي انتهت بعتق الجارية وزواج سيدها بها بعد أن أصبحت امرأة حرة. وقد عُرف عن خلفاء الأندلس شغفهم الشديد بالجوّاري، كما سبق أن أشرنا، فأنزلوهن منزلةً حسنة، وأحاطوهن بالرعاية والعناية، وأغدقوا عليهن العطايا المادية والمعنوية².

كما نص على جملة من الأحكام التي شجعت على عتق الجوّاري وتحريرهن، فكان العتق يمثل إحدى الوسائل التي أتاحت لهن الخروج من قيود الرق. ومن صور ذلك أن الجارية إذا ولدت من سيدها عُرفت في الفقه الإسلامي بـ «أم الولد»، وقد ترتب على ذلك أحكام خاصة تتعلق بوضعها وحريتها.

كما كان العتق يتم بوسائل أخرى، منها الوصية بالعتق، أو الكفارات التي يُجعل فيها تحرير الرقبة وسيلة للتكفير عن بعض الذنوب، فضلاً عن المبادرة إلى

¹ وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 197

² فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 223

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

العتق ابتغاء الأجر والثواب. وقد أسهمت هذه الأحكام في إتاحة فرص للتحرر والاندماج في المجتمع بالنسبة إلى عدد من الجوّاري¹.

وقد شجّع الإسلام وحثّ على إحسان معاملتهن وتعليمهن، وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدّى حقّ الله وحقّ مواليه، ورجلٌ كانت عنده أمةٌ فادّبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعقها فترّجّها»².

ويُظهر هذا الحديث مكانة عتق الجارية وتعليمها وحسن معاملتها، كما يبيّن مشروعية الزواج منها بعد عتقها، وهو ما يعكس سعي الشريعة الإسلامية إلى تحسين وضع الجوّاري والارتقاء بمكانتهن الاجتماعية³.

وقد ساهمت الجوّاري في نشر الثقافة الإسلامية وتعزيز المعارف الدينية في المجتمع الإسلامي، إذ تولّت جماعة منهن تعليم أبناء المسلمين مبادئ الكتابة والقراءة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، كما عُرف عن بعضهن حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية وروايتها. ومن بين الجوّاري اللواتي برزن في هذا المجال بريرة، التي عُدتّ من النساء اللواتي حظين بقدر من الثقافة الدينية مكّنهن من الإسهام في نقل المعرفة ونشرها. كما عُرفت بمكانتها بين أهل العلم، وكان يُستمع إلى مواعظها، وروى عنها عدد من الرجال.

ويبدو أن تميز بريرة في هذا المجال ارتبط، إلى حدٍّ ما، بكونها جارية عائشة أم المؤمنين، إذ أتاح لها قربها من أم المؤمنين فرصة للاطلاع على جانب من المعرفة الدينية واكتسابها، الأمر الذي أسهم في تعزيز مكانتها وتمكينها من نقل ما تعلمته إلى الآخرين. ومن ثم، يمكن القول إن مكانة سيدتها العلمية والدينية كان لها دور في إضفاء قدر من الشرعية الاجتماعية على ممارسة بريرة للتعليم والرواية.

ويكشف ذلك عن أن العصور الإسلامية الأولى شهدت توجّهًا نحو ترسيخ مبادئ دينية واجتماعية هدفت إلى الحد من بعض الفوارق بين أفراد المجتمع، والتأكيد على قيمة الإنسان بصرف النظر عن أصله ومكانته الاجتماعية. وفي هذا السياق، لم يكن تعليم الجوّاري منفصلاً بالضرورة عن تعليم الأحرار، بل أُتيح لبعضهن اكتساب قدر من المعرفة الدينية والثقافية التي مكنتهن من أداء أدوار تتجاوز حدود الخدمة المنزلية.

¹ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط4، القاهرة، دبت، ج2، ص6

² وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 192

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 8

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

ومع اتساع المجتمع الإسلامي وانفتاحه على ثقافات وحضارات متعددة في العصور اللاحقة، تطورت أنماط تعليم المماليك والجواري، واهتم بعض الحكام بتنقيف من كانوا في قصورهم، ولا سيما من امتلكن مواهب في الأدب أو الغناء أو العلوم. غير أن هذا التعليم لم يكن موحداً أو متاحاً للجميع بالدرجة نفسها، إذ ظل متأثراً بالبنية الاجتماعية القائمة على التفاوت بين الخاصة والعامة، وباختلاف مكانة الجارية ووظيفتها والبيئة التي نشأت فيها¹.

وجاءت السنة النبوية لتضع أسساً واضحة في التعامل مع العبيد والإماء، مؤكدة ضرورة الإحسان إليهم والرفق بهم، والنهي عن ظلمهم أو التعدي عليهم. وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك في مواقف عديدة، من أشهرها ما ورد مع أبي مسعود البدرى، حين رآه يضرب غلاماً له، فقال له: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك عليه»، فبادر أبو مسعود إلى عتق غلامه في سبيل الله. وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى خطورة الاستمرار في ظلم المماليك، وأن ذلك مما يستوجب العقاب الإلهي.

غير أن الواقع الاجتماعي لم يكن دائماً منسجماً مع هذه التوجيهات النبوية؛ إذ خالف كثير من السادة تلك التعاليم، واستمروا في ممارسة أشكال متعددة من التسلط على العبيد والإماء، رغم ما شاع من الحكم والأمثال التي تذر ذلك، ومنها قولهم: «**التسلط على المماليك دناءة**»، وقد تمثلت هذه الممارسات في الضرب والتعنيف والتجويع وإرهاق العبيد بكثرة العمل، فضلاً عن الإهانة والتقليل من شأنهم. وتشير بعض الروايات إلى أن بعض السادة كانوا يبالغون في عقاب عبيدهم حتى لأسباب تافهة، الأمر الذي يعكس استمرار بعض الموروثات الاجتماعية التي لم تتوافق مع المبادئ التي دعت إليها الشريعة الإسلامية في معاملة الرقيق².

ومن الجدير بالذكر أن الجواري لم يُجبرن على اعتناق الإسلام خلال العهد الأموي في الأندلس، بل تُرك لهن قدر من الحرية في الاحتفاظ بدينهن ومعتقداتهن، إذا رغبن في ذلك، وهو ما يعكس جانباً من التنوع الديني الذي عرفه المجتمع الأندلسي في تلك الفترة³.

وعليه برزت فئة الجواري بوصفها أحد العناصر الاجتماعية والثقافية والسياسية الفاعلة في المجتمع الإسلامي، إذ أسهمت بصورة واضحة في تشكيل جوانب متعددة من الحياة العامة. فلم تقتصر مكانتهن على كونهن فئة تابعة أو ثانوية، بل تجاوزن الأدوار التقليدية المرتبطة بالخدمة المنزلية، خاصة في قصور الخلفاء وبيوت الوزراء والأثرياء، إلى أدوار أكثر اتساعاً في المجالات الثقافية

¹ وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 209 - 211

² نفسه، ص 192

³ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 208

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

والفنية. فقد برز عدد منهم في الغناء والموسيقى، كما شاركوا في الحياة الأدبية من خلال الشعر والرواية والأدب، مما جعل حضورهم يتجاوز الإطار المنزلي ليصبح جزءاً من الحركة الثقافية والاجتماعية التي شهدتها المجتمع الإسلامي¹.

ومن مظاهر حسن معاملة الرقيق في المجتمع الإسلامي، إنشاء دور خاصة بهم اشتملت على مقومات الحياة الأساسية، بما يضمن توفير الرعاية والحماية لهم، ويحفظ مكانتهم وحقوقهم، وذلك تحت إشراف الدولة ورعايتها².

اختلفت أوضاع الجوّاري باختلاف مكانتهن الاجتماعية والبيئة التي عشن فيها؛ فجارية الخليفة لم تكن كجارية التاجر أو الحرفي العادي، إذ حظيت الجوّاري المقيّمات في قصور الخلفاء والوزراء والأمراء بمكانة متميزة، وأُتيح لبعضهن المشاركة في الحياة الثقافية والفنية، ولا سيما في مجالس الأدب والغناء والموسيقى التي عُرفت بها الأندلس، في المقابل، كانت جوّاري التجار والأثرياء يؤدين في الغالب مهام الخدمة المنزلية وتدبير شؤون البيوت، وإن أُتيح لبعضهن التعلم واكتساب المعارف والمهارات الفنية، خاصة عندما كان سادتهن يهتمون بالثقافة والأدب والموسيقى. ويعكس هذا التفاوت اختلاف الظروف الاجتماعية التي عاشت فيها الجوّاري، إذ كان قرب الجارية من بيت الخليفة أو الوزير أو الأمير عاملاً مؤثراً في تحديد مكانتها، والفرص التي أُتيحت لها، والمسار الذي يمكن أن تتخذه حياتها³.

لم يعد دور الجوّاري في المجتمع الإسلامي مقتصرًا على الترفيهية والترفيه، أو على أداء الأعمال المنزلية وسائر المهن والوظائف التي اعتدّن القيام بها، كخدمة البيوت والطرب والغناء، بل تطور دورهم ليشمل مجالات اجتماعية وسياسية ذات أهمية بالغة، إذ أسهم عدد منهم في التأثير في مجريات الحياة العامة، وكان لهم أثر واضح في توجيه بعض القرارات والأحداث، مما جعلهم عنصرًا فاعلاً في مختلف مناحي المجتمع الإسلامي⁴.

ولم يتخذ المسلمون الجوّاري لمجرد إباحة ما ملكت أيماهم، بل ارتبط حضورهم أيضاً ببعض التصورات التي استُخدمت في تحفيز الجند على فتح الأندلس؛ فقد ورد في الخطبة المنسوبة إلى طارق بن زياد قوله: «وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، ومن بنات اليونان، الرافلات في الدر

¹ صبا طلال زهيري، محمد عبد الله حسين اللهبي، «دور الجوّاري في الحياة العامة في العصر العباسي الأول»، مجلة ابن رشد للدراسات، ع 8، مج 2، جامعة الموصل، كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ، 1 ديسمبر 2025، ص. 13 - 14

² نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 32

³ صبا طلال زهيري، المرجع السابق، ص 18

⁴ شهلة برهان عبد الله، المرجع نفسه، ص. 206

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

والمرجان، والخلى المنسوجة بالعقيق، المقصورة في قصور الملوك ذوي التيجان».

ومن الجدير بالذكر أن المصادر التي اطلعنا عليها لم تقدم وصفًا حسيًا أو معنويًا دقيقًا للسبايا الإسبانيات في سياق الفتح، باستثناء ما ورد في هذه الخطبة المنسوبة إلى طارق بن زياد. وما يعيننا هنا أن هذا النص، بصرف النظر عن مدى صحة نسبته، يعكس صورة متخيلة عن السبايا والجواري وما كان يتوقعه المسلمون من غنائم ونساء إثر فتح الأندلس، ومن ثم يمكن اعتباره من أقدم النصوص التي أسهمت في رسم صورة عن الجواري في الأندلس في المخيال الفاتح¹.

استمرت بعض الممارسات الاجتماعية المتعلقة بالجواري في العصر الإسلامي، ومن ذلك ما أشار إليه ابن حزم الأندلسي في كتابه طوق الحمامة، إذ ذكر وقوع الاختلاط بين بعض الرؤساء والأثرياء وجواريهم، بل ووجوده كذلك لدى بعض عامة الناس ممن ضعف وازعهم الديني. ولم يكن ابن حزم مقرًا لهذه الممارسات، بل كان موقفه منها واضحًا في الإنكار والتنبيه إلى خطورتها. ويظهر ذلك من خلال روايته دخوله على أحد معارفه وكانت عنده جارية لم تحتجب عنه، ففسر سبب ذلك بقوله: **(على الجاري العادة في التربية)**، مما يدل على أن هذه العادة كانت امتدادًا لممارسات متوارثة منذ العصر الجاهلي، واستمرت في بعض الأوساط الاجتماعية رغم مخالفتها للتعاليم الإسلامية².

كما اختلف وضع الجواري في صدر الإسلام، ولا سيما الجواري اللاتي أنجبن أطفالًا من أسيادهن، إذ كان أبناؤهن يُعدّون أحرارًا وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية. وقد منح هذا الوضع بعض الجواري مكانة متميزة، إذ إن إنجابهن من أسيادهن كان من شأنه أن يرفع من مكانتهن الاجتماعية ويمنحهن وضعًا قانونيًا أكثر خصوصية. وكانت الجارية التي تلد من سيدها تُعرف باسم «أمّ الولد»، وهي صفة ترتب عليها وضع شرعي مميز، من أبرز مظاهره أنها لا تُباع بعد ولادتها، وتُعتق بوفاء سيدها وفقًا لما استقر عليه الفقه الإسلامي في هذا الشأن³.

لا شك أن تعدد أجناس الخدم والمماليك وأعرافهم وأصولهم داخل الدولة الإسلامية أدى إلى تنوع أديانهم ومذاهبهم وفرقهم، فقد كان المجتمع الإسلامي يضم جماعات مختلفة من حيث أصولها ومعتقداتها، وهو ما انعكس بصورة واضحة على الحياة داخل قصور الخلفاء والأمراء وبيوت كبار رجال الدولة. ولم يكن اختلاف

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 6

² علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، أبو محمد، طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألف، دراسة وتحقيق: عبد الحق التركماني وعبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1434هـ/2013م، ص 59-60.

³ صبا طلال زهيري، المرجع السابق، ص 16

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

الدين في حد ذاته مانعاً من وجود هؤلاء الخدم والمماليك داخل المجتمع الإسلامي، إذ أتاح لهم الإسلام قدرًا من الحماية والتسامح، وسمح لغير المسلمين بممارسة شعائرهم الدينية في حدود ما أقرته أحكام الشريعة والنظام العام للدولة.

وقد ارتبط هذا التسامح بمبدأ قرآني واضح في التعامل مع أصحاب الديانات المختلفة، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾¹ وقد انعكس هذا المبدأ على الحياة اليومية للخدم والمماليك من غير المسلمين، فكان بإمكان بعضهم الاحتفاظ بجزء من مظاهر هويتهم الثقافية والدينية، مثل التحدث بلغاتهم الأصلية وارتداء أزيائهم الخاصة وممارسة شعائرهم الدينية، وهو ما يعكس جانباً من مظاهر التنوع الثقافي والديني الذي عرفته الدولة الإسلامية.

كما أن وجود خدم ومماليك من أصول وجنسيات مختلفة أدى إلى ظهور بيئة متعددة الثقافات داخل القصور، فأصبح هؤلاء يحملون معهم لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي انتقلت إلى المجتمع الذي عاشوا فيه. ولم يكن هذا التنوع مقتصرًا على الجانب الديني فحسب، بل شمل أيضًا العادات الاجتماعية وأنماط اللباس وطرق التواصل وغيرها من مظاهر الحياة اليومية. وقد ساهم ذلك في إثراء الحياة الحضارية داخل الدولة الإسلامية، خاصة في الفترات التي اتسعت فيها حركة جلب المماليك والخدم من مناطق مختلفة.

وفي المقابل، حرص عدد من الخلفاء والأمراء على إدخال خدمهم ومماليكهم في الإسلام، ولا سيما أولئك الذين كانوا يُجلبون في سن صغيرة، إذ كانوا يتولون تربيتهم داخل القصور والبيوت وفق تعاليم الإسلام وآدابه. فكان يتم تعليمهم مبادئ العقيدة والعبادات والأخلاق الإسلامية، وتعويدهم على أداء الشعائر الدينية، إلى جانب تعليمهم ما يحتاجون إليه من أحكام الشريعة. وكان الهدف من ذلك إعدادهم للاندماج في المجتمع الإسلامي، وربطهم بثقافته وقيمه الدينية والاجتماعية.

وقد كان لتربية المماليك والخدم منذ الصغر أثر واضح في تكوين شخصياتهم، إذ لم يقتصر الأمر على تعليمهم الدين فحسب، وإنما شمل كذلك تعليمهم اللغة العربية وآدابها، وتدريبهم على مختلف المهارات التي يحتاجون إليها في حياتهم داخل القصور والدور. كما أن بعضهم ارتقى في المكانة الاجتماعية والسياسية نتيجة ما اكتسبه من علم وتربية وخبرة، وأصبح جزءًا من الحياة العامة للدولة.

ومن ثم، يمكن القول إن التعامل مع الخدم والمماليك في الدولة الإسلامية جمع بين وجود تنوع ديني وثقافي من جهة، ومحاولة دمج فئات واسعة منهم في

¹ سورة البقرة، الآية 256

الفصل التمهيدي: مكانة الجواري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

المجتمع الإسلامي من جهة أخرى. وقد ساهم ذلك في تشكيل مجتمع متنوع الأصول والثقافات، كان للخدم والمماليك فيه حضور واضح، ليس فقط باعتبارهم فئة خادمة، وإنما باعتبارهم عناصر شاركت في الحياة الاجتماعية والثقافية، وفي بعض الحالات في الحياة السياسية والإدارية أيضاً¹.

وبعد فتح الأندلس، تدفقت الغنائم والثروات والسبي على الفاتحين، وأصبح الترف تدريجياً أحد مظاهر الحياة الاجتماعية في المجتمع الأندلسي. وبدأ الأندلسيون يتنافسون، منذ العصر الأول للاستقرار الإسلامي، في بناء القصور وتزيينها وتجهيزها بمختلف مظاهر الرفاهية، حتى غدا اقتناء الجواري أحد مظاهر الغنى والترف. واستمرت هذه الظاهرة وتعمقت مع استقرار المسلمين في الأندلس، فبالغ بعض أفراد الطبقة الميسورة في إظهار مظاهر الثراء، ولم تخلُ قصورهم من أعداد كبيرة من الجواري.

ولم يكن الترف وحده بالضرورة دافعاً إلى اقتناء الجواري، إذ يبدو أن جمالهن وتنوع ملامحهن، ولا سيما شقرة الشعر وبياض البشرة، كان له أثر في اختيار بعض الأندلسيين لهن، خصوصاً لدى الطبقات الميسورة. وقد انعكس ذلك في ميل بعض خلفاء بني أمية في الأندلس إلى اتخاذ أمهات أولاد من ذوات الشعر الأشقر. ومع ذلك، لا يصح القول إن جميع الجواري اللاتي اقتنأهن الأندلسيون كن شقراوات؛ فقد عُرفت بينهم أيضاً جواري ذوات بشرة سوداء، كما استُخدمت جواري من المشرق، مما يدل على تنوع أصول الجواري ومظاهرهن في المجتمع الأندلسي².

نجد أن الجواري لم يكنّ بمعزل عن الحرائر في التعبير عن مشاعرهن وأحاسيسهن، بل ساوينهن في ذلك، وربما فاقتنهن أحياناً. وقد تجلّى هذا الأمر من خلال الأشعار التي أنشدتها الجواري، والتي عكست إقبالهن على متع الحياة بإرادتهن واختيارهن. كما كنّ يلحنّ مقطوعات شعرية تعبّر عن مشاعرهن، وتؤكد أن وقوعهن في الرق لم يُفقدن رغبة الحب، ولم يصادر حقهن في التعبير عن أحاسيسهن وميولهن العاطفية³.

كما شهد العصر الإسلامي بعض المواقف التي عبّرت فيها الجواري عن رفضهن للإكراه، ومصارحة سادتهن بعدم رغبتهن في العلاقة أو في البقاء في ملكهم. ومن ذلك ما يُروى عن الجارية التي اشتراها الحسن البصري، المتوفى سنة 110هـ، وكانت حسناء جميلة. فلما صارت في ملكه، حاول أن يقضي منها حاجته، فامتنعت منه، فسألها: «ما تكرهين مني؟» فقالت: «أكرهك أنت». ثم سألها: «ما

¹ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 46

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 7 - 8

³ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 218

الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي

تحبين؟» فقالت: «أنت، بعني». فقال لها: «أو خيرٌ من ذلك؟ أعتقك وأهب لك ألف دينار؟» فقالت: «نعم». فأعتقها ووهب لها المال.

ويكشف هذا الخبر عن صورة من صور رفض الجارية للإكراه، إذ عبّرت بصورة مباشرة عن عدم رغبتها في سيدها، بل طلبت منه بيعها، غير أن الحسن البصري اختار أن يعتقها ويمنحها مالاً بدلاً من إجبارها على ما لا تريده. وقد أثار هذا الموقف إعجاب من عاصروه، لما رأوه فيه من سماحة وصبر على كلامها، وعدم مقابلة رفضها بالعقوبة أو الانتقام. وبذلك يقدم هذا الخبر مثالاً على إمكانية تعبير الجارية عن إرادتها ورفضها، وإن كانت في وضع اجتماعي وقانوني يجعل قدرتها على الاختيار محدودة¹.

¹ وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 176 - 177

الفصل الأول: الجوّاري والمخطّيات في عصر الإمارة

أولاً: الجوّاري والمخطّيات في عهد الإمارة

في عهد محمد عبد الرحمن الداخل: الإطار التاريخي

والسياسي.

الجوّاري والمخطّيات في بلاط محمد الرحمن الداخل.

ثانياً: دور الجوّاري والمخطّيات في عصر الإمارة

وأثرهن على الحكم

الدور السياسي الاجتماعي.

الدور الثقافي والعلمي

أولاً: الجواري والمحظيات في عهد الإمارة

تحولت الأندلس بعد فتحها إلى ولاية إسلامية تابعة للخلافة الأموية¹ في دمشق، واستمر هذا الوضع نحو أربعين عاماً، من سنة 99هـ/716م إلى 138هـ/755م. وبعد سقوط الدولة الأموية في دمشق سنة 132هـ/750م على يد العباسيين، نجا الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية، الذي عُرف لاحقاً بعبد الرحمن الداخل، وتمكن من الفرار إلى بلاد المغرب ثم الانتقال إلى الأندلس، حيث استطاع تأسيس إمارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية سنة 138هـ/756م. واستمرت هذه الإمارة نحو 173 عاماً، إلى أن أعلن الأمير عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله الخلافة في الأندلس سنة 316هـ/929م، لتتحول الإمارة إلى خلافة أموية. وقد بلغت الدولة الأموية في الأندلس أوج قوتها وازدهارها السياسي والحضاري في عهد عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله².

في عهد عبد الرحمن الداخل: الإطار التاريخي والسياسي.

أ- شخصيته

يُعدّ عبد الرحمان بن معاوية³ بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من أبرز شخصيات بني أمية، وُلد سنة 113هـ الموافق لـ 731م في منطقة قنسرين بالشام. عُرف بلقب عبد الرحمن الداخل، ويُعتبر مؤسس الدولة الأموية في الأندلس⁴.

¹ الدولة الأموية: هي إمارة إسلامية أسسها عبد الرحمن الداخل، أحد أمراء بني أمية، سنة 138هـ/756م في الأندلس، واتخذ من قرطبة عاصمةً لها. وقد تحولت الإمارة إلى خلافة عندما أعلن عبد الرحمن الناصر لدين الله نفسه خليفةً في ذي الحجة سنة 316هـ/929م، متخذاً لقب خليفة قرطبة بدلاً من لقبه السابق أمير قرطبة، وهو اللقب الذي حمله الأمراء الأمويون منذ استقلال عبد الرحمن الداخل بالأندلس، أنظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس: من الفتح إلى بداية عهد الناصر، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، 1389هـ/1969م، القسم الأول، ص 140-206.

² سوزي حمود، الأندلس في العصر الذهبي: منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (91-350هـ/710-961م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/2009م، ص 65.

³ اسمه الكامل هو: عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، كنيته أبو المطرف، وقيل: أبو سليمان. وكانت أمه سَيِّةً بربريةً من قبيلة تُسمى «رداح». أنظر: ابن عذاري أبو العباس محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، ص. 66.

⁴ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ط1، ج7، ص 13.

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

نشأ في أسرة أموية حاكمة، لكنه واجه منذ شبابه ظروفًا صعبة بعد سقوط الدولة الأموية على يد العباسيين، حيث تعرّض للملاحقة والاضطهاد. وتمكّن بفضل ذكائه ودهائه وشجاعته من النجاة من القتل، ففرّ من الشام وبدأ رحلة طويلة وشاقة عبر فلسطين ومصر وإفريقية، ثم إلى بلاد البربر.

وقد تميّزت شخصيته بروح القيادة، وقوة التحمل، والقدرة على التكيف مع الظروف الصعبة، مما مكّنه من كسب دعم بعض القبائل، خاصة في المغرب. وبعد سنوات من الترحال، توجّه إلى الأندلس، حيث نجح سنة 756م / 138هـ في تأسيس إمارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية، واتخذ من قرطبة عاصمة له.

وبذلك، يُعدّ عبد الرحمن الداخل من الشخصيات التاريخية البارزة التي استطاعت إعادة إحياء الحكم الأموي في الغرب الإسلامي، بفضل كفاءته السياسية والعسكرية¹.

يبدو أن لجوء عبد الرحمان بن معاوية إلى بلاد المغرب لم يكن عفويًا، بل كان اختيارًا مقصودًا، إذ طمح إلى إيجاد الحماية بين أحواله من البربر، بحكم أن أمه تنتمي إلى هذه المنطقة. كما كان يدرك أن سكان شمال إفريقيا، وخاصة البربر، لم يكونوا على درجة قوية من الولاء للسلطة المركزية، سواء في العهد الأموي أو في بدايات الحكم العباسي².

كما لعب العامل النفسي والشخصي دورًا مهمًا في توجيه طموحات عبد الرحمن؛ إذ يُروى أن أحد حكماء بني أمية، تنبأ له بمستقبل عظيم، واعتبره الأمل في إحياء مجد الأسرة الأموية بعد زوال ملكها. وقد تأثر عبد الرحمن بهذه النبوءة تأثرًا عميقًا، خاصة أنه نشأ في كنف جده هشام بن عبد الملك، الذي رعاه وقربه وميّزه عن غيره، مما عزز ثقته بنفسه وأذكى طموحه السياسي.

ورغم وصوله إلى إفريقية، أدرك عبد الرحمن صعوبة إقامة حكم مستقل هناك، بسبب توتر العلاقة بين الأمويين والبربر من جهة، وحرص الوالي عبد الرحمن بن حبيب الفهري على الحفاظ على سلطته من جهة أخرى. لذلك بدأ يوجّه اهتمامه نحو الأندلس، حيث كانت الأوضاع مضطربة، والصراعات الداخلية تُضعف السلطة القائمة.

¹ عبد المجيد نغني، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت، ص 137 - 138

² عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر لمن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ط1، ج4، ص 117

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

وقد ساعده في ذلك ما نقله إليه مرافقوه، خاصة مولى أخته بدر وسالم، من أخبار عن الأندلس ومسالكتها وأحوالها. كما كان المسافرين والرسول ينقلون أخبار الفتن والانقسامات التي تهدد بزوال الحكم الإسلامي هناك، مما جعلها فرصة مناسبة لطموحاته.

أدرك عبد الرحمن أن الأندلس تمثل مجالاً خصباً لإعادة بناء النفوذ الأموي، خاصة مع وجود أنصار وموالين لبني أمية فيها، بعضهم استقر منذ الفتح الإسلامي، وآخرون وفدوا لاحقاً مع تراجع الدولة الأموية في المشرق. ومن هنا، بدأ يفكر بجدية في استغلال هذا الفراغ السياسي، والتوجه نحو الأندلس لتأسيس كيان سياسي جديد يعيد به أمجاد أسرته¹.

تمكّن عبد الرحمن الداخل من دخول الأندلس وهو في السادسة والعشرين من عمره، حاملاً معه طموحاً كبيراً لإحياء مجد الدولة الأموية بعد سقوطها في المشرق. وقد بعث وجوده في هذه الأرض البعيدة عن موطنه الأصلي الأمل في نفوس أنصاره بإمكانية قيام دولة أموية جديدة، قادرة على تحقيق الاستقرار السياسي وبناء كيان مستقل عن الخلافة العباسية².

كما تميز بأسلوب إداري منظم وعقلية مرتبة، حيث كان يعالج المشكلات بروية، ويتابع أخبار الثورات بثبات نفسي، ثم يضع خطاً دقيقة للقضاء عليها. وقد ساهم هذا النهج في إرساء دعائم دولة قائمة على أسس إدارية وسياسية ومالية متينة.

وقد وصفه المؤرخ ابن حيان بقوله: كان راجح العقل، واسع العلم، ثاقب الفهم، شديد الحزم، دائم الحركة، لا يميل إلى الراحة، ولا يعتمد على غيره في تدبير شؤون الحكم، ومع ذلك لم يكن يستبد برأيه، بل كان يميل إلى المشورة. كما عُرف بشجاعته وإقدامه، وتنقله المستمر لمتابعة شؤون دولته بنفسه³.

وبذلك، يمكن القول إن عبد الرحمن يمثل نموذجاً للقائد الذي جمع بين الكفاءة السياسية والقدرة العسكرية، وأسهم في بناء دولة مستقرة في ظروف بالغة التعقيد⁴.

¹ عبد المجيد النعني، المرجع السابق 139، 140 ولفاصيل أكثر حول الصعوبات والعراقيل التي واجهت عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ومعركة مصارة إلى غاية استقراره هناك اطلع على نفس هذا المرجع ص 141- 147

² عبد المجيد النعني، المرجع السابق ، ص 147

³ ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ج3، ص 112.

⁴ مجهول، محاضر بعنوان: الدولة الأموية في الأندلس (عصر الإمارة 138 - 316هـ)، ص 3 على الموقع: <http://uanistansiriyali.edu.id>

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

توفي عبد الرحمن في العاشر من جمادى الآخرة سنة 272هـ، بعد حياة حافلة بالكفاح ومليئة بالتحديات. وقد تمكن، رغم الظروف الصعبة، من تأسيس دولة قوية في بيئة مضطربة تعج بالثورات والمؤامرات، مما يعكس قدرته الاستثنائية في القيادة والتدبير¹.

ب- أعماله الإدارية والسياسية والعسكرية:

قبل التطرق الى الحديث عن تأسيس الدولة الاموية بالأندلس فيجب أولاً ذكر أن الأندلس، كغيرها من مناطق العالم الإسلامي شهدت قيام عدة دول وإمارات تعاقبت على حكمها. وقد سبقت هذه الكيانات قيام الدولة الأموية في الأندلس، التي تأسست سنة (138هـ / 756م) (183/172) (756/788م) على يد الأمير عبد الرحمن بن معاوية، الملقب بالداخل. ويُعدّ هذا العصر هو العصر الذهبي لتاريخ الاندلس².

كما نجد ان المشرق الإسلامي قد شهد اضطرابات سياسية كبيرة انتهت بسقوط الخلافة الأموية في دمشق وقيام الخلافة العباسية سنة 132هـ/749م. وقد رافق هذا التحول تتبّع العباسيين لبقايا الأمويين وقتلهم، مما دفع بعض أفراد هذه الأسرة إلى الفرار.

وكان من أبرزهم عبد الرحمان بن معاوية بن هشام، الذي تمكن من الهروب من المشرق بعد معاناة كبيرة، ليتجه إلى الأندلس حيث دخلها سنة 138هـ/756م. وهناك استطاع أن يؤسس دولة قوية ومستقلة، بعيدة عن سلطة الخلافة العباسية في المشرق وعن نفوذ المغرب الإسلامي.

فبعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق على يد العباسيين، اندفع هؤلاء بدافع الأحقاد القديمة في حملة قاسية، فأعملوا سيوفهم في بني أمية، فلم يتركوا شاباً ولا شيخاً ولا طفلاً ممن وقعت عليهم أيديهم. وقد لاحقوهم في كل مكان، وصبّوا عليهم ما تراكم في صدور خصومهم من كرهٍ وضغينة³.

وبعد هذه الحادثة، اشتدّ الطلب على من تبقى منهم، ففرّوا في الآفاق، واتجه كثير منهم نحو المغرب الإسلامي، حيث كان والي إفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري، الذي استقبلهم وأمنهم، ووفّر لهم سبل الإقامة.

¹ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ط1، ج7، ص 45

² عبد الجليل بن عبد القادر ملاح، مقال الإمارة الاموية في الاندلس وتحولها من المذهب الاوزاعي الى المذهب المالكي، جامعة ادرا، ص 50

³ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الجزء 4) من خلافة الوليد بن عبد الملك حتى نهاية الدولة الاموية) ، ط3، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان، 2012، ص333

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

وكان من بين القلة التي نجت من هذه المجازر شاب أموي، سيُعرف لاحقًا بدوره الكبير في التاريخ، وهو عبد الرحمان بن معاوية، الذي تمكّن من الفرار، ثم توجه إلى الأندلس حيث أسس لاحقًا الدولة الأموية هناك¹.

شهدت الأندلس في تلك المرحلة توافد أعداد كبيرة من الأنصار إلى عبد الرحمن، مما عزّز مكانته السياسية والعسكرية. وقد استقبل ابن الجلاء وأكرمه بإنزاله لديه، في حين بلغ الخبر أقاربه من جهة أخواله، ومنهم موالي زيد بن الملك، فتوجّهوا إليه في قوة قوامها نحو أربعمئة فارس. واصل عبد الرحمن تقدّمه نحو شذونة، حيث انضم إليه بنو إلياس في أعداد كبيرة، الأمر الذي أسهم في تضخّم جيشه وتعاضم قوته².

على الرغم من تعدّد محاولات اغتياله خلال مرحلة تثبيت حكمه، فإن عبد الرحمن واجه أخطارًا جسيمة كادت أن تقضي على مشروعه السياسي. ومن أبرز تلك المحاولات ما دبّره أبو جعفر المنصور، الذي سعى إلى القضاء على من لُقّب بـ"صقر قریش". إذ أرسل إلى العلاء بن المغيث الجذامي، وكان من أهل باجة في غرب الأندلس، ومنحه سجلًا ولواءً، وحثّه على مناهضة عبد الرحمن، مع وعدٍ بإمداده بالدعم إن لزم الأمر³.

استجاب العلاء لهذه الدعوة، وأعلن الثورة على عبد الرحمن، فالتفت حوله عدد كبير من الأنصار، حتى إن قسمًا معتبرًا من أهل الأندلس مال إلى فكرة خلع عبد الرحمن. وما إن بلغ ذلك الأخير حتى غادر قرطبة متجهًا إلى حصن قرمونة، حيث تحصّن مع خاصته ومواليه الموثوقين. وتقدّم العلاء نحو الحصن وفرض عليه حصارًا استمر قرابة شهرين.

غير أنّ طول أمد الحصار أدى إلى تراجع معنويات أتباع العلاء، ففتّر عنه كثير منهم لأسباب مختلفة، من التعب إلى نقص المؤونة، حتى ضعفت قوته بشكل واضح. وعندئذٍ انتهز عبد الرحمن الفرصة، فشنّ هجومًا حاسمًا أسفر عن هزيمة العلاء ومقتله في ساحة القتال. ثم قُطع رأسه، وحُفظ بالملح والكافور، وأُرسل مرفقًا برسالة إلى المشرق مع أحد الحجاج من أهل قرطبة، ليُعرض على المنصور، الذي صادف وجوده في موسم الحج تلك السنة، في إشارة رمزية إلى فشل محاولته في القضاء على خصمه⁴.

¹ عبد المجيد النعني، المرجع السابق، ص 133-136

² نفسه، ص 90

³ ابن الاثير، المصدر السابق، ج5، ص 412

⁴ ابن القوطية، المصدر السابق، ص 91-92

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

وبهذا أسس عبد الرحمن الداخل¹ إمارة إسلامية أموية² في الأندلس سنة 138هـ/756م، بعد أن أنهى حكم الولاة عندما قضى على أصحاب النفوذ القديم مثل يوسف الفهري والصميل بن حاتم. كما تمكن من القضاء على ثورة العلاء بن مغيث الجذامي³ الذي توفي سنة 147هـ / 767م، والذي كان قد وعده الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بمنحه إمارة الأندلس إذا نجح في إنهاء حكم عبد الرحمن الداخل⁴.

بعد أن تمكن عبد الرحمان الداخل من القضاء على الثورات والحركات المعارضة، انهزم يوسف الفهري، فدخل عبد الرحمان القصر واستقرت له السلطة. ويُروى أنه دار بينه وبين ثعلبة حديث، حيث قال له: «هل لك رأي في فتحين في

¹ **عبد الرحمان الأموي (الداخل):** كان عبد الرحمن الأموي يتصف بالكرم والتواضع والبساطة، وكان يقتصر في ملبسه على الثياب البيضاء ويتعمم بها. كما كان يؤم الناس في صلوات الجمعة والعيدين، ويحضر الجنائز ويصلي عليها، ويعود المرضى، ويخالط الناس ويحادثهم، محافظاً على قربه من الرعية. ولم يحد عن هذا النهج إلا في أواخر عهده، حين أشار عليه بعض خاصته بأن يتخذ قدراً من الاحتجاب والترفع؛ حفاظاً على هيبة الملك، واتقاءً لبوادر الفتن ومؤامرات الخصوم، وقد نُقش على خاتمه: «عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ، وبالله يثق عبد الرحمن، وبه يعتصم»، وهو نقش يعكس ما عُرف عنه من التوكل على الله والرضا بقضائه. ومن مظاهر تواضعه أيضاً أنه لم يتخذ ألقاباً مثل المظفر أو الناصر أو المنصور، وغيرها من الألقاب التي درج عليها بعض الحكام، أنظر: **محمد عبد الله عنان**، دولة الإسلام في الأندلس: من الفتح إلى بداية عهد الناصر، منشورات مكتب الخانجي، القاهرة، ط4، 1389هـ/1969م، العصر الأول، القسم الأول، ص 201

² **الدولة الأموية:** كانت الدولة الأموية من أعظم الدول الإسلامية، إذ شهدت في عهدها اتساعاً كبيراً للفتوحات الإسلامية، فامتدت حدودها شرقاً إلى السند، وغرباً إلى المحيط الأطلسي وشبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس). وبلغت الدولة في تلك المرحلة ذروة قوتها واتساعها، وتميزت بوحدة السلطان والإدارة وتماسك أقاليمها. غير أن هذا الازدهار لم يدم طويلاً؛ فمع مطلع القرن الثاني الهجري بدأت الدولة تتجاوز مرحلة التوسع والفتوحات، لتدخل طور الضعف والانحلال، إذ أخذت عوامل الوهن والتصدع تدب في أوصالها، مما أدى إلى تفكك وحدتها السياسية وتراجع هيبتها، أنظر: **محمد عبد الله عنان**، المصدر السابق، ص. 140

³ **ابن العلاء بن مغيث الجذامي:** هو قائد عربي من قبيلة جذام، ظهر في الأندلس خلال القرن الثاني الهجري، وكان من أنصار الدعوة العباسية، إذ قدم إلى الأندلس في محاولة لإسقاط حكم الأمويين بقيادة عبد الرحمن الداخل. قاد حركة تمرد واتخذ من إشبيلية مركزاً له، ورفع شعار العباسيين، لكنه اصطدم بالقوة الأموية التي تمكنت من القضاء عليه وإنهاء حركته، وبذلك فشلت محاولته في إعادة النفوذ العباسي إلى الأندلس، أنظر: **ابن أبي زرع الفاسي**، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ص 47-48.

⁴ **ابن عذراي المراكشي**، المصدر السابق، ص 51 - 52

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

فتح؟» فسأله ثعلبة بن سلامة⁵ عن مقصده، فأجابه بأنهم قد تخلصوا من يوسف، ويريد أن يتخلصوا أيضاً من خصم آخر لتستقر الأندلس تحت قيادة واحدة.

غير أن عبد الرحمن كشف حقيقة هذا الطرح، فاستوثق من نوايا ثعلبة وأخذ عليه العهد، ثم لم يلبث أن قُتل بعد مدة نتيجة مكيدة دُبرت له. وفي الوقت نفسه، كان أبو الصباح قد تقدم في مناطق الغرب كما ذكر سابقاً، بينما آلت الزعامة بعده إلى ابن عمه عبد الغفار، بهذا الأسلوب، يتضح أن عبد الرحمان الداخل اعتمد على الحزم والدهاء السياسي في تثبيت حكمه، والتخلص من خصومه، لضمان استقرار الدولة الأموية في الأندلس¹.

نجد أن ظاهرة الجواري في البلاد الأموية لم تكن أمراً غريباً، وذلك لوجود واجتماع العوامل المسببة لهذه الظاهرة، من انفساح السلطان، واتساع الفتوحات، وامتداد العمران، وما رافق ذلك من انتشار مظاهر الحياة المترفة والمتأنقة. وقد تحدثت كتب المصادر الأندلسية والأدبية عن أحوال الأندلسيين، ودللت على ما بلغه المجتمع الأندلسي، عامةً، في العصر الأموي من مظاهر الرفاهية والثراء، ولا سيما امتلاء بيوتهم وقصورهم بالخدم من الجنسين، ومن بينهم الجواري اللواتي أصبحن جزءاً من الحياة الاجتماعية داخل القصور والبيوت الأندلسية².

الجواري والمحظيات في بلاط عبد الرحمن الداخل:

حفلت قصور العديد من حكام الدولة الإسلامية، على امتداد العصور، بالجواري من مختلف الأصول والألوان، ومن بيئات وثقافات وديانات وحضارات متنوعة، وقد امتد هذا التنوع إلى قصور الحكام الأمويين في الأندلس، حيث شكّلت الجواري بمختلف أصولهن جزءاً من الحياة الاجتماعية والثقافية داخل القصور³.

بحيث يُعد قصر الرصافة الصيفي الواقع في شمال غربي قرطبة من أبرز إنجازات الأمير عبد الرحمن الأول (الداخل)، حيث شيده على غرار قصر الرصافة

⁵ ثعلبة بن سلامة العاملي: وهو أحد زعماء العرب الشاميين الذين دخلوا الأندلس ضمن جند الشام في القرن الثاني الهجري، وقد تولّى الحكم لفترة وجيزة في مرحلة الاضطراب السياسي التي سبقت قدوم عبد الرحمن الداخل. اتسمت فترة حكمه بمحاولات فرض الاستقرار، لكنه لم يتمكن من القضاء على الصراعات القبلية بين العرب والبربر، مما جعل سلطته ضعيفة ومؤقتة، إلى أن انتهى نفوذه مع تطور الأحداث التي مهّدت لقيام الإمارة الأموية في الأندلس. انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص210 - 2013

¹ ابن قوطية، المصدر السابق 90

² زميري سهير، فلاح كنزا، دور المرأة في الأندلس خلال العهد الأموي (138-422هـ)، مذكرة ماستر في العلوم الإنسانية، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2021-2022، ص. 52.

³ هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 28

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

الذي بناه جده الخليفة هشام بن عبد الملك خارج مدينة دمشق، وحمل القصران الاسم نفسه. ويُرجع اسم «الرصافة» إلى معنى المكان الواقع على جانب المدينة أو في أطرافها، وقد أصبحت رصافة قرطبة من أبرز المنشآت التي ارتبطت بعهد عبد الرحمن الداخل¹.

فلم تكن الحضارة الإسلامية في الأندلس حضارة علمية وثقافية وأصيلة ومتميزة ومبدعة فحسب، بل كانت أيضًا حضارة تحرر فكري للمرأة. في الأساس، فرضت الحضارة الإسلامية نفسها بفضل خصائصها ومكوناتها التي لم تشترك فيها أي حضارة أخرى، وكانت نقطة انطلاق للحضارة الحديثة. لقد أشرقت في الأندلس وتردد صداها في الشرق والغرب. ومن الجدير بالذكر أنهم كان لهم تأثير كبير على تآلق الحضارة الأندلسية. لذلك، تمتعت المرأة الأندلسية بمكانة عالية في المجتمع. في ضوء هذا التحول الثقافي الهائل، من العصر الجاهلي إلى صدر الاسلام نجد أن مكانة الجواري تعززت بالإسلام²

وقد كان المولدون، وهم أبناء الزيجات المختلطة أو أبناء الجواري الذين وُلدوا في المجتمع الإسلامي³، ففي عهد الإمارة، ذكرت المصادر أن أربعًا وثلاثين جارية كنَّ من أمهات الأولاد، وقد أنجبت أمهات الأولاد تسعة عشر أميرًا وخليفةً خلال عهدي الإمارة والخلافة⁴.

وهم من العناصر السكانية الأساسية في الأندلس عقب الفتح الإسلامي. وقد تألف المجتمع الأندلسي في تلك المرحلة من ثلاثة مكونات رئيسية هي: العرب، والبربر، والمولدون، الذين أسهموا بدور بارز في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأصبحوا مع مرور الزمن إحدى القوى المؤثرة في المجتمع الأندلسي⁵.

كما ساهم تدفق النساء من مختلف البلدان إلى المجتمع الإسلامي خلال الفتوحات في إحداث نوع من التنوع الثقافي والاجتماعي، إذ حملت الجواري معهن عادات وتقاليد ولهجات وثقافات متعددة، كما اعتنقت بعضهن الإسلام بعد دخولهن إلى المجتمع الإسلامي. وقد أفرز هذا التنوع حالة من التثاقف والتفاعل الحضاري، انعكست على جوانب مختلفة من الحياة الثقافية والفنية، ولا سيما في مجالات

¹ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، 1408هـ/1988م، ص. 190

² خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 838

³ محمد عبد الله عنان، المصدر السابق، ص 203

⁴ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 9

⁵ محمد عبد الله عنان، المصدر السابق، ص 203

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

الموسيقى والأدب والغناء، حيث أسهمت الجواري في نقل بعض مظاهر الثقافات التي نشأت فيها وإدماجها ضمن البيئة الثقافية للمجتمع الإسلامي¹.

فبالنسبة إلى خلفاء وأمراء بني أمية في الأندلس، فقد كان عدد من أمهاتهم من الجواري وأمهات الأولاد؛ فكانت أم الخليفة هشام بن عبد الرحمن الداخل جارية تُدعى حوراء، كما كانت أم الحكم بن هشام جارية تُدعى زخرف، وهي أم ولد. وكانت أم الأمير عبد الرحمن بن الحكم تُدعى حُلَى، وأم الأمير محمد بن عبد الرحمن تُدعى تهتز، وقد أنجبت الجارية شفاء الأمير محمد قبل وفاتها. أما أم الأمير المنذر بن محمد فكانت تُدعى أثل، وهي أم ولد. وكانت أمهات أولاد الأمير عبد الرحمن الأوسط: قصر، وفطروب ابنة عبد الله، وفجر ابنة بشر. كما كانت أم الأمير عبد الله بن محمد تُدعى عشار، وهي أم ولد، وقيل إن اسمها بهار أو ذر. وكانت أم الأمير أبان بن عبد الله تُدعى شأن.

أما في عصر الخلافة، فقد كانت أم الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله جارية تُدعى مزنة، وعُرفت بالعرجاء بسبب عرج كان بها، وهي أم ولد. وكانت أم الخليفة الحكم المستنصر تُدعى مرجان، وهي أم ولد، وقيل إن اسمها مهرجان. كما كانت أم الخليفة هشام المؤيد بالله تُدعى صُبْح، وهي أم ولد، ويُذكر أن الحكم المستنصر امتنع عن التسري بغيرها. وكانت أم محمد بن هشام المهدي تُدعى مزنة، وأم أخيه عبد الرحمن تُدعى غاية، بينما كانت أم سليمان بن الحكم المستعين تُدعى ضبية. أما أم محمد بن عبد الرحمن المستكفي فكانت تُدعى حوراء، وكانت أم هشام بن محمد المؤتمن تُدعى عاتب².

وعليه نجد أن الخدم في القصور الأموية بالأندلس ينقسم إلى طبقتين رئيسيتين، تمثل أولاهما طبقة الخدم الخاص، وهم الذين كانوا يتولون شؤون الخليفة الخاصة ويلازمونه في مختلف أوقاته، ويُعدّون من أقرب الفئات إليه داخل القصر. وقد شملت هذه الطبقة مختلف أصناف الخدم والمماليك والغلمان والجواري، ممن كانت لهم صلة مباشرة بالخليفة وأفراد أسرته، وأسهموا في تسيير شؤونه اليومية وخدمته في مختلف المناسبات.

وكان الخليفة يحرص على اختيار أفراد هذه الطبقة بعناية، فلا يُقرب إليه إلا من توفرت فيه مجموعة من الصفات التي تؤهله للثقة به والاعتماد عليه، ومن أبرزها الأمانة والصدق والوفاء والشجاعة والعقل وحسن التدبير وجودة الرأي والكمال والعلم والأدب وحسن الأصل. ولم يكن الاختيار قائماً على الكفاءة وحدها،

¹ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج6، ص215.

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 10-11.

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

بل كان القرب الشخصي والألفة عاملاً مهماً كذلك؛ فقد يختار الخليفة ممن نشأ معه وألفه منذ صغره، أو ممن تولى الخليفة نفسه تربيته على الأخلاق والآداب، أو ممن كان قد نشأ الخليفة في حجره وتربى على يديه. ولذلك أصبحت هذه الفئة من أكثر الخدم قرباً من الخليفة، وأكثرهم اطلاعاً على شؤونه الخاصة وأحوال القصر، مما منح بعض أفرادها مكانة ونفوذاً متميزين داخل البلاط¹.

وقد حظيت هذه الطبقة بمحبة الخليفة ورعايته الخاصة، باعتبارهم من أكثر الأشخاص قرباً منه واطلاعاً على أسرارهم وشؤونهم الخاصة، فضلاً عن اضطلاعهم بمهام متعددة داخل القصر. وقد أكسبهم هذا القرب مكانة متميزة ونفوذاً خاصاً، إذ كانوا يؤدون وظائف تتطلب الثقة والولاء والکتمان. ومن شدة ما بلغوه من مكانة، قيل في وصفهم: «خادم الملوك من جهة الملك خادماً، ومن جهة أخرى ملك»².

أما الطبقة الثانية، فهي طبقة الخدم المنزليين، الذين كانوا يتولون مختلف شؤون القصر الداخلية والخارجية، من أعمال الخدمة والتنظيم وتلبية احتياجات أهل القصر. وكانت شؤون هذه الطبقة تُدار وتشرف عليها القهرمانه، التي كانت تتولى تنظيم أعمال الخدم والإشراف عليهم داخل القصر³.

ف نجد أن قصر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله كان يضم نحو ستة آلاف وثلاثمائة امرأة، بينهن الجواري والخادما⁴.

ظهرت مشاركة الجواري في الشؤون السياسية بصورة واضحة منذ بداية العصر الإسلامي، إذ كان لنساء الخلفاء وأمهاتهم وجواريه دور بارز في الحياة السياسية، ولم يكن حضورهن مقتصرًا على الحياة الخاصة داخل القصور، بل امتد تأثير بعضهن إلى مجريات الأحداث والقرارات السياسية⁵.

وقد استمر الاهتمام بالجواري في عصر الإمارة الأموية بالأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، إذ ورث حكام بني أمية هذا الاهتمام عن أسلافهم، وأصبحت الجواري يحظين بمكانة بارزة داخل قصور الحكام. ومن بين هؤلاء الأمير الحكم بن هشام، حاكم الأندلس، الذي تولى الإمارة سنة 180هـ/796م، واستمر حكمه إلى سنة 206هـ/822م، واشتهر بلقب «الربضي». وعلى الرغم من قوة شخصيته ومكانته السياسية، فقد عُرف باهتمامه بالجواري، حتى إنه نظم أشعاراً

¹ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 55

² نفسه، ص 55

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 5، ص 370

⁴ زميري سهير، المرجع السابق، ص 52

⁵ علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، اختصار وتحقيق قاسم وهب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989، ص 309

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

في عدد من جواريه وحظاياها، مما يعكس حضورهن في الحياة الخاصة والثقافية داخل البلاط الأموي. ومن الأبيات المنسوبة إليه في هذا السياق:

مَكْنِيَّيْ مَلَكَةٍ مِنْ حَلِّ مَرَائِيهِ لِلْعَبْدِ ظَلِّيْ أَمِيرًا مُؤْتَقَ الْعَنَقِ

وتكشف هذه الأشعار عن تأثر الأمير بالجواري والحظايا، كما تدل على المكانة التي حظين بها في حياة بعض حكام الإمارة الأموية بالأندلس، إذ لم يقتصر حضورهن على الخدمة داخل القصور، بل امتد إلى المجال الأدبي والثقافي، وأصبحن موضوعًا للشعر والغزل¹.

أما بالنسبة لوالده، فقد أهدى الأمير عبد الرحمن الثاني إحدى جواريه عقدًا بلغت قيمته عشرة آلاف دينار، رغم اعتراض رجال دولته على ذلك. ويعكس هذا الأمر مدى المكانة التي حظيت بها الجواري والحظايا لدى حكام بني أمية في الأندلس، وما تمتعن به من حظوة داخل البلاط الأموي².

من مظاهر مكانة الجواري في القصور الأندلسية، نجد أن عبد الرحمن الأوسط استرضى جاريته عَرُوب بنحو عشرين ألف دينار، وأمر لها بعقد بلغت قيمته عشرة آلاف دينار. ولم تقتصر الهدايا المقدمة للجواري على النقود والحلي فحسب، بل قُدِّمت لهن هدايا غير مألوفة، تدل على مدى ما كان يكنّه بعض السادة لجواريهم من محبة ومكانة، وعلى استعدادهم لتلبية رغباتهن، مهما بلغت كلفتها أو بدت غريبة ومرتفعة القيمة³.

برزت في الأندلس خلال العصر الأموي عدة أصناف من الخدم الذين ارتبط وجودهم بدور الخلفاء والأمراء وقصورهم، واختلفت وظائفهم ومكانتهم بحسب طبيعة العمل الذي كانوا يؤدونه وموقعهم داخل البلاط، ومن أبرز هذه الأصناف: الغلمان، والطواشية، والخدم، إلى جانب أصناف أخرى متعددة. وقد احتل هؤلاء مكانة مهمة في الحياة اليومية داخل القصور، إذ تولوا القيام بمختلف المهام والخدمات التي ارتبطت بحياة الخلفاء والأمراء وأفراد أسرهم وحاشيتهم.

ويُعد الطواشية من أكثر أصناف الخدم عملاً في دور الخلفاء وقصورهم، وقد ارتبطوا بالعديد من الوظائف والخدمات الخاصة بالبلاط، الأمر الذي جعل حضورهم بارزاً في الحياة الداخلية للقصور الأموية بالأندلس. وقد عُرف عدد منهم بأسماء مميزة أطلقت عليهم داخل البلاط، ومن بينها: مرجان، ودينار، وبشير،

¹ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 79

² نفسه، ص 115 - 116

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 95

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

وشاهين، وجوهر، وعمر، واللؤلؤ، وهي أسماء تدل على تنوع التسميات التي كانت تطلق على هذه الفئة.

ولم يقتصر الأمر على الأسماء الشخصية، بل كان لبعض الطواشية ألقاب خاصة تدل على مكانتهم أو وظائفهم داخل البلاط، ومن هذه الألقاب: زين الدين، والزين، وعز الدين، وبدر الدين، وشجاع الدين، وجمال الدين. وقد يعكس إطلاق هذه الألقاب عليهم اندماجهم في البيئة الاجتماعية والثقافية الإسلامية التي عاشوا فيها، فضلاً عن المكانة التي تمكن بعضهم من بلوغها داخل القصور.

أما من حيث أصولهم، فقد كان الطواشية ينتمون إلى أصول وأجناس متعددة، وكان من بينهم الصقالبة والروم والسودان، وهو ما يعكس التنوع العرقي الذي اتسمت به فئة الخدم في الأندلس. وقد أدى هذا التنوع إلى دخول عناصر بشرية مختلفة إلى البلاط الأموي، حيث حمل كل منهم معه خصائصه الثقافية والاجتماعية، ثم اندمج تدريجياً في البيئة الأندلسية. ومع مرور الوقت، أصبح بعض هؤلاء الخدم جزءاً من التنظيم الداخلي للقصور، وأسهموا في تسيير شؤونها وخدمة الخلفاء والأمراء وأفراد أسرهم وحاشيتهم¹.

ومن أنواع الجواري نذكر:

عندما حاولنا استجلاء المعنى الدقيق لمفهوم «الجارية»، سعياً إلى إدراك حقيقته والوقوف على دلالاته المختلفة، لم نجد في المعاجم اللغوية، على الرغم من أهميتها، شروحات وافية ومفصلة تكشف بصورة دقيقة عن طبيعة الأدوار والوظائف التي أنيطت بالجواري في المجتمعات الإسلامية، وإنما انحصرت معظم الإشارات الواردة فيها في بعض المعاني العامة التي ارتبطت بالخدمة والسخرة، إلى جانب ما اتصل بأدوار الإمتاع والمؤانسة، وهي دلالات، وإن كانت تعكس جانباً من واقع الجواري، فإنها لا تستوعب في مجموعها حقيقة حضورهن وتعدد وظائفهن وتنوع المجالات التي شاركن فيها.

ومن هذا المنطلق، فإن الوقوف عند الدلالة اللغوية وحدها لا يبدو كافياً للإحاطة بمفهوم الجارية وإدراك أبعاده التاريخية والاجتماعية، خاصة أن واقع الجواري كان أكثر اتساعاً وتشعباً من التعريفات المختصرة التي أوردتها المعاجم. فقد ارتبطت الجارية، بحسب موقعها الاجتماعي وظروفها ومكان وجودها، بجملة من المهام والأدوار التي تجاوزت في كثير من الأحيان حدود الخدمة المنزلية، لتشمل مجالات متعددة كالتربية والتعليم، والغناء والموسيقى، والأدب والشعر، والطب والتطبيب، والكتابة، وغيرها من الأعمال التي اختلفت باختلاف تكوين الجارية ومهاراتها والبيئة التي نشأت فيها أو انتقلت إليها.

¹ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 54

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

ورغم شح المادة المتاحة وصعوبة العثور على تعريف جامع مانع يستوعب مختلف الدلالات والأدوار المرتبطة بالجواري، فإننا سنحاول في هذه الدراسة إمطة اللثام عن جملة من المعاني والدلالات التي يمكن استنباطها من بطون المصادر التاريخية والأدبية، ومن نصوص المؤرخين والأدباء وأصحاب التراجم الذين عاصروا تلك المراحل أو نقلوا أخبارها عن السابقين. إذ تتيح هذه النصوص، على الرغم من تفرقها وتنوعها، إمكانية الاقتراب من الصورة الحقيقية للجارية، والكشف عن تعدد وظائفها ومكانتها داخل المجتمع، بعيداً عن الاقتصار على التعريفات العامة أو الصور النمطية التي اختزلت وجودها في بعض الأدوار المحدودة.

وتجدر الإشارة إلى أن لفظ «الجارية» من الألفاظ التي يعتري مفهومها قدر غير قليل من الالتباس، وذلك نتيجة كثرة التصنيفات والتسميات التي ارتبطت بهذه الفئة، وتعدد الوظائف والخدمات التي كانت تؤديها الجواري، فضلاً عن اختلاف أصولهن ومواطن قدومهن، وتباين مستوياتهن الاجتماعية، واختلاف تكوينهن الثقافي والعلمي والفني. فقد لم تكن الجواري على درجة واحدة من التأهيل أو المعرفة أو المهارة، وإنما تباينت أوضاعهن بحسب البيئة التي جئن منها.

كما أن تعدد التسميات التي أطلقت على الجواري لم يكن مجرد اختلاف في الألفاظ، وإنما كان يعكس في كثير من الأحيان اختلافاً في المكانة والوظيفة والاختصاص، فظهرت تسميات ارتبطت بالخدمة، وأخرى اتصلت بالغناء والفن، وأخرى ارتبطت بالحظوة والقرب من أصحاب السلطة، فضلاً عن تسميات عكست انتقال بعض الجواري من وضع اجتماعي إلى آخر، أو ارتباطهن بمؤسسات القصر والبيوت الثرية.

وعليه، فإن محاولة ضبط مفهوم الجارية تقتضي تجاوز التعريف المجرد إلى تتبع الاستعمالات المختلفة للمصطلح في المصادر، وربط كل تسمية بالسياق الذي وردت فيه، وبالوظيفة التي كانت تؤديها صاحبها، وبالمكانة التي كانت تشغلها داخل المجتمع. ومن خلال ذلك يمكن الوصول إلى تصور أكثر دقة وشمولاً لعالم الجواري، وفهم ما كان يميزه من تنوع في الوظائف والمراتب والأدوار.

وفيما يلي نورد بعض المسميات والتصنيفات الأكثر تداولاً في عالم الجواري، مع محاولة الوقوف عند دلالاتها ووظائفها، والكشف عن الفروق التي كانت تميز كل فئة عن غيرها، بما يسمح بتكوين صورة أوضح عن طبيعة هذا العالم وتعدد مستوياته وأدواره¹.

¹ سناء الشعيري، «جواري الأدب بين سلطة المعرفة ورهانات الاعتناق»، مجلة مناهل، العدد 102، 2021، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، ص. 436.

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

أ- الأمة:

هي المرأة المملوكة التي كانت في حالة رقّ، في مقابل المرأة الحرة، وقد استُعمل اللفظ في الأندلس للدلالة على الجارية التي احترفت الغناء أو الرقص واتخذتهما مهنة لها¹، كانت الأمة تُعرّف بأنها المملوكة، في مقابل الحرة، وجمعها إماء وأموات.

وقد انحصرت مهام الإماء في بدايات الأمر، في الغالب، في خدمة البيوت والقيام بالأعمال المنزلية الشاقة، كإعداد الطعام والغسل والتنظيف والكس وغيرها من الأعباء اليومية. أما دخول الإماء إلى الأندلس، فقد تم عبر عدة طرق، من أبرزها السبي والقرصنة وتجارة الرقيق²، يبدو أن الإماء، بالنظر إلى مكانتهن الاجتماعية المتدنية، لم يكنّ دائماً موضع إعجاب لدى أسيادهن، بل تعرضن في بعض الحالات للاحتقار والنظر إليهن بوصفهن أدنى منزلة.

وقد أشار إلى ذلك ابن بسّام الشنتريني في كتابه الذخيرة، إذ أورد خبر الأديب أبي عبد الله بن مسرور، الذي سلط الضوء على حال أمة مملوكة وهبها سيدها إلى الوزير ابن بقنة، فأسفت على حالها، وندبت حظها المشؤوم، معبرة عن مرارة مصيرها، فقالت:

وهبتني لأوحى منقطع في القبح والفقر حمى الموضع.

وأنشدت في موضع آخر قائلة:

جعلتني أسيرة مملوكة لطلعة هائلة معلومة³.

ب- أمّ الولد:

هي الجارية التي تلد من سيدها ولدًا، فتكتسب بذلك وضعًا خاصًا، فلا يجوز بيعها، وتعتق بوفاء سيدها⁴، هي من الجواري ذوات المكانة والمنزلة العالية، وقد أسهم إنجابها للولد في ارتفاع منزلتها الاجتماعية، وأصبحت تتمتع بمكانة متميزة مقارنة بغيرها من الجواري، خاصة إذا كان ابنها من أبناء الخليفة أو الأمير، لما قد يترتب على ذلك من نفوذ ومكانة داخل البلاط⁵.

¹ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 207

² سناء الشعيري، المرجع السابق، ص 436

³ سناء الشعيري، المرجع السابق، ص 436 - 437

⁴ صبا طلال زهيري، المرجع السابق، ص 28

⁵ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 54

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

وجاء أيضاً: هُنَّ الجواري اللاتي اتخذهنَّ أسيادهنَّ للوطء، فأنجبن منهم أولاداً، فأصبحن بذلك «أمهات أولاد»، إذ يترتب على ذلك استقرارها في كنف سيدها وعدم تداولها في أسواق النخاسة¹، كما ترتفع منزلتها الاجتماعية، باعتبارها أمّاً لولده. وكان من أهم ما يترتب على هذه المكانة أن تصبح لها فرصة في العتق، والزواج من سيدها بعد عتقها، مع استحقاقها للمهر، فإذا لم ترغب في الزواج منه، لم يكن له أن يجبرها على ذلك أو يعيدها إلى ملكيته. أما أولادها منه، فكانوا أحراراً شرعيين، ولهم من الحقوق ما لأبناء الحرائر، ومن ذلك الميراث. وبذلك شكّل إنجاب الولد للجارية سبيلاً إلى تحسين وضعها، والانتقال من حالة الرق إلى الحرية، بما يتيح لها في نهاية المطاف أن تصبح مساوية للمرأة الحرة في المكانة الاجتماعية².

تتمتع الجارية أمّ الولد بوضعية متميزة جعلتها تقترب من منزلة الحرة في بعض الجوانب، ولا سيما من حيث ما تقرر لها من حقوق وحماية قانونية. فإذا غاب السيد عن أمّ ولده مدة طويلة، جاز لها رفع أمرها إلى القاضي للنظر في وضعيتها، وقد أورد ابن حزم في نوازل قضية ثلاث جوارٍ غاب عنهن سيدهن مدة ست سنوات، فرفعن أمرهن إلى القاضي، الذي حكم بعتق أمّ الولد، باعتبار أن وضعيتها تقترب من وضعية الحرة في بعض الأحكام.

كما كانت أمّ الولد تتمتع بحماية خاصة بعد وفاة سيدها، فإذا توفي عنها وهي حامل، ثبتت لها أحكام خاصة تحول دون استمرار استرقاقها على الصورة المعتادة، ويعود أمر الفصل في وضعيتها إلى القضاء³.

¹ وبخصوص ما أورده بعض المستشرقين من أن أسواق النخاسة كانت تعرض الجواري عاريات ومجردات من ثيابهن أمام الملأ، فإن هذا الطرح لا يعدو أن يكون صورة مشوهة ومجانبية للحقيقة، بل إن بعض ما نقله المستشرقون في هذا السياق يتسم بالمبالغة والافتراء، ولا يستند إلى أدلة تاريخية موثوقة تثبت عمومية هذه الممارسة. فقد كانت أسواق النخاسة تخضع لرقابة قانونية وأخلاقية صارمة، وهو ما تؤكد مؤلفات الحسبة في الأندلس، التي أشارت إلى دور المحتسب في مراقبة الأسواق وأماكن البيع والشراء، والتفتيش على مدى التزامها بالأداب والقوانين العامة. ومن ثم، فإن تصوير الجواري على أنهن كن يُعرضن عاريات أمام الملأ لا يمكن تعميمه، ويبدو أقرب إلى صورة اختلقها بعض المستشرقين لتشيويه واقع المجتمع الإسلامي والأندلسي، متجاهلين أن المجتمع الأندلسي كان، قبل كل شيء، مجتمعاً إسلامياً تحكمه ضوابط شرعية وأخلاقية تنظم مختلف مظاهر الحياة العامة، نظر: سناء الشعيري، المرجع السابق، 436.

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 8 - 9.

³ سناء الشعيري، المرجع السابق، 438.

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

وقد اكتسبن أمهات الأولاد بذلك مكانة ونفوذاً كبيرين داخل القصور، ومن أبرز الأمثلة على ذلك الخيزران، جارية الخليفة المهدي وأم الخليفة هارون الرشيد¹.

ت- جواري اللذة:

وهن الجواري اللواتي كان من أدوارهن الترويح عن أسيادهن، وإضفاء أجواء المرح والسرور على مجالسهم²، والتخفيف عنهم وإزالة الهموم عن نفوسهم. وعلى الرغم من أن الغرض الأساسي من اقتنائهن كان المتعة والتسلية، فإن المسلمين في بدايات الفتح اتخذوا بعض الجواري بديلاً عن زوجاتهم اللاتي بقين في المشرق الإسلامي ولم يرافقن أزواجهن في رحلات الفتح والاستقرار بالأندلس.

كما أتاح الفقه الإسلامي الزواج من الكتابيات، وأباح ملك اليمين في سياقه التاريخي³، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾⁴.

وقد شكّلت جواري اللذة نسبةً مهمة من مجموع الجواري في الأندلس، وربما كان بعض الجواري اللاتي ورد ذكرهن في المصادر من هذه الفئة، سواء ارتبطت اللذة بالجانب الجسدي، أم تمثلت في الاستمتاع بغناء الجارية وفنونها وآدابها. ويبدو أن عدداً من الجواري اللاتي عُرفن في المصادر كنّ من أمهات الأولاد أو وُصفن بالمحظيات، وهو ما يرجّح ارتباطهن بهذا النوع من الجواري. أما بالنسبة إلى الجواري الأخريات، فلم نجد في المصادر ما يثبت بصورة قاطعة أنهن كنّ يتخذن للمتعة. ومن ثم، فإن مجرد امتلاك الأندلسي لجارية لا يعني بالضرورة أنه اتخذها للمتعة الجسدية؛ فقد يمتلكها لأغراض أخرى، كخدمة البيت أو الكتابة أو التعليم أو غير ذلك من الأعمال، وقد يجمع بين أكثر من وظيفة بحسب مكانتها ومهاراتها وعلاقتها بصاحبها⁵.

ث- الحَظِيَّة:

هي الجارية التي حظيت بمكانة خاصة لدى الخليفة، وتميّزت عن غيرها من الجواري بقربها منه ونيلها عنايته واهتمامه.

وقد كان هذا القرب يمنحها منزلة مرموقة داخل القصر، ويجعلها تتمتع بمكانة ونفوذ يفوقان ما تتمتع به سائر الجواري، خاصة إذا كانت تتميز بالجمال أو

¹ صبا طلال زهيري، المرجع السابق، ص 19

² فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 208

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 5

⁴ سورة المؤمنون، الآية: 5-6

⁵ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 6

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

الأدب أو الغناء أو غير ذلك من الصفات التي تستميل الخليفة. وقد يصل نفوذ بعض الحظايا إلى التأثير في شؤون القصر والحياة السياسية، تبعاً لدرجة قربها من الخليفة وثقته بها¹.

ج- القينة:

تُعدّ القينة من الأسماء الشائعة التي أطلقت على الجواري، وقد تعددت الآراء في أصل هذا اللفظ ودلالته؛ فقليل إن القينة هي الأمة المغنية، وقيل إن اللفظ مشتق من «التقين»، أي التزيين، ومنه سُميت المرأة «المقينة» لما تقوم به من تزيين العروس. كما أُطلق لفظ القينة على المغنية باعتبار الغناء حرفةً وصناعةً لها، وهي من الأعمال التي عُرفت بها الإماء أكثر من الحرائر.

وقد حظيت القيان بمكانة خاصة في أسواق النخاسة، وبيعت بعضهن بأثمان باهظة، لما تميزن به من حذق وبراعة في العزف والغناء، فضلاً عما اكتسبته من الأدب والظرف والفصاحة. ولم يُعرف من الحرائر، ممن اشتهرن بإتقان الموسيقى والغناء، إلا عدد محدود، ومن أبرزهن بنات زرياب وولادة بنت المستكفي.

ويؤكد ابن بسام وجود تمييز بين الجارية والقينة والمهنية والمغنية، إذ يقول: «وأعدّ له القينات والملهيات والمغنيات في كأسه في الصبا بعد المشيب»²، هي الجارية المغنية، وقد ارتبط لفظها في أصله اللغوي بمادة «ق ي ن»، التي تدل على الصنعة والإصلاح والتزيين؛ فقليل: «قَيْن الحديد» أي أصلحه وسوّاه، كما أُطلق «القَيْن» على الحداد والعامل بالحديد الذي يعمل بالكير.

ومن هذا المعنى ارتبطت كلمة «القينة» بالتزيين والصنعة، فقليل للمرأة «مُقينة» إذا كانت تتولى تزيين النساء. وقد أشار الجوهري إلى أن القينة سُميت بذلك لأنها كانت تزيّن النساء. وبذلك ارتبطت هذه التسمية في بعض استعمالاتها بالجواري اللاتي كن يمارسن الغناء والطرب، باعتبار الغناء صناعةً ومهنةً اشتهرت بها الإماء في المجتمع العربي. كما يذكر ابن منظور أن «القَيْن» هو العامل بالحديد والكير، وينقل عن بعض العرب إطلاق لفظ «القينة» على المغنية، باعتبار الغناء من صناعاتها. ومن ثم، فإن إطلاق لفظ «القينة» في السياق التاريخي لا يُفهم بمجرد كون الجارية تزيّن أو تمارس الغناء عرضاً، وإنما يُقصد به في الغالب الجارية التي اتخذت الغناء والطرب صناعةً ومهنةً، كما أطلق أهل الأندلس أيضاً لفظ «الأمة» على الجارية التي اتخذت من الغناء أو الرقص مهنةً لها، وهو

¹ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 54

² سناء الشعيري، المرجع السابق، 437

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

ما يعكس ارتباط بعض الجواري في المجتمع الأندلسي بمظاهر الفن والطرب، إلى جانب أدوارهن الخدمية والاجتماعية¹.

فقد وُصفت هذه الفئة من الجواري في بعض المصادر بقدر من التلاعب بالرجال وبمشاعرهم، إذ صُوِّرت القِيَّانة على أنها تميل إلى من يجمع بين الجمال والشباب والثراء، فإذا نفذ ماله أو تقدّم به العمر، أعرضت عنه وانتقلت إلى غيره. ويعبر أحد الأشعار عن هذه الصورة بقوله:

يا عالي السن سيئ الأدب هبته وأنبه خلافة في الطرب
ويحك أن القيان كالقرك المنسوب بين الغرور والعطب
لا تحدين للفقر ولا يطلبن إلا معادن الذهب
تلحظ هذا وذاك وذا لحظ محب وفعل مكتسب

ويبدو أن هذا التصوير جعل الشيخ، على وجه الخصوص، أكثر تألماً من نفور القِيَّانة منه، لما يحمله ذلك من إحساس بفقدان الشباب وتراجع المكانة التي كان يتمتع بها في مرحلة سابقة من حياته. ومن الأبيات التي تعكس هذا المعنى:

تألمني عليّ بحسبها وجمالها وتقول لي: يا هيئ أنبه مخاض
هيئ وإفلام وفتح ظلم أطمعني فيها؟ أظفئك المطامخ

ومن ثم، صُنِّف سلوك القِيَّانة في بعض النصوص ضمن صور التلاعب والتحايل على الرجال، ولا سيما من خلال استغلال الجمال والغناء لاستمالتهم، ثم التخلي عنهم عند زوال ما يجذبها إليهم من شباب أو مال².

وقال الجاحظ عن القنية: «إن القنية لا تسلم من الفتنة، ولا تكون عفيفة؛ لأنها تكتسب الأهواء، وتتعلم الألسن والأخلاق بالمنشأ، وهي تنشأ من لدن مولودها إلى أوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث وصنوف اللعب»³.

1

جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 2 - 3

² وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 178

³ نورة شرقي، المرجع السابق، ص 121

الفصل الأول: الجوّاري والمحظيات في عصر الإمارة

ح- القهرمانّة:

وهي من الجوّاري ذوات المكانة المرموقة داخل القصر، وتأتي في المنزلّة بعد الحظيّة، وقد أُطلق هذا الاسم على صاحبة إحدى أرفع الوظائف التي كانت تتولاها الجوّاري في القصور.

وكانت القهرمانّة تتولى الإشراف على بعض شؤون القصر وتنظيمها، وقد ارتبطت وظيفتها بإدارة الأعمال والخدمات الخاصّة بالبلاط¹، فضلاً عن تدبير شؤون الجوّاري ومتابعة أعمالهن داخل القصر²، مما منحها مكانة متميزة بين سائر الجوّاري والخدم.

وبحكم قربها من الخليفة أو أفراد الأسرة الحاكمة، كان لبعض القهرمانات نفوذ واضح داخل القصر، وقد تتدخل في بعض شؤونها بحسب طبيعة مهامها ومكانتها³.

خ- الوصيّة:

وهي من مراتب الجوّاري داخل القصر، وتأتي في منزلّة أدنى من القهرمانّة، وكانت تُطلق على الجارية التي تقوم بخدمة نساء القصر ومساعدتهن في شؤونهن اليوميّة.

وغالبا ما كانت الوصيّة صغيرة السن، وتؤدي مجموعة من المهام المرتبطة بخدمة سيدتها داخل القصر، مما جعلها جزءاً من التنظيم الداخلي للحريم⁴، وقد تعددت وظائفهن وتنوعت داخل القصر، فشملت نقش الحناء، والتزيين والتجميل، والعمل كمشاطات، وتطريز الملابس، ونظم العقود، إلى جانب الغناء والعزف على الدفوف⁵.

د- الحظيّة:

هي الجارية التي حظيت بمنزلّة ومكانة رفيعة لدى سيدها، وتميزت عن غيرها من الجوّاري بما نالته من حظوة وعناية خاصّة.

وتجدر الإشارة إلى أن الجوّاري كنّ يُصنّفن عند بيعهن بحسب ما يتمتعن به من خصائص ومهارات، فمنهن الإماء والقينات والراقصات، وتأتي المحظيات في

¹ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 54

² نفسه، ص 101

³ نفسه، ص 54

⁴ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 54

⁵ نفسه، ص 101

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

مرتبة أرفع، إذ تبوأن مكانة متميزة داخل القصور، واستأثرن بقلوب الخلفاء والأمراء، وحظين بعطاياهم وهباتهم.

وتروي المصادر التاريخية أن عددًا من المحظيات كنَّ على قدر عالٍ من الجمال والعلم، واتصفن بالذكاء والفصاحة وحسن البيان، الأمر الذي أسهم في رفع مكانتهن داخل البلاط. كما أن بعض المحظيات أنجبن من أسيادهن، فارتفعت مكانتهن أكثر، وأصبحن يُعرفن بأمهات الأولاد، وهي منزلة متميزة في مجتمع القصر.

وقد حفلت المصادر الأندلسية بأسماء عدد من أمهات الأولاد، من أشهرهن صبح البشكنسية، والددة الخليفة هشام المؤيد بالله، وأثل، والددة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم¹.

وجاء أيضًا: هي الجارية التي كانت تتميز عن سائر الجواري، إما لجمالها أو لما تمتلكه من مهارة وصنعة متميزة، الأمر الذي يجعلها تحظى بمكانة خاصة لدى الخليفة وتصبح من الجواري المقربات إليه. وقد ارتفعت مكانة بعضهن إلى حد أن اتخذهن الخلفاء زوجات، ثم أصبحن فيما بعد أمهاتٍ لأولادهن².

ذ- السُّرِّيَّة:

اختلف أهل اللغة في سبب تسميتها، وقد جمع ابن منظور أقوالهم في ذلك؛ فقال بعضهم إن لفظها منسوب إلى «السِّرِّ»، وهو الجماع، وأن كسر السين إنما جاء للتفريق بين الحرة والأمة، فإذا كانت الحرة تُجامع سرًّا أو كانت فاجرة قيل لها «سِرِّيَّة»، أما المملوكة التي يتخذها صاحبها للوطء فتُسمى «سُرِّيَّة» دفعًا للبس. وقال أبو الهيثم: إن «السِّرَّ» و«السُّرور» متقاربان، فسُمِّيت الجارية سُرِّيَّة لأنها تكون موضع سرور الرجل. أما ابن منظور فعرفها بقوله إن «السُّرِّيَّة» هي الأمة التي بوأها صاحبها بيتًا، وهي منسوبة إلى «السِّرِّ»، الذي يدل على الجماع والإخفاء، لأنها كانت تُستر عن الحرائر.

أما الفيروز آبادي فلم يتوسع في بيان سبب التسمية، وإنما ذكر أن «السِّرَّ» يطلق على الجماع والنكاح، ثم عرّف السُّرِّيَّة بأنها الأمة التي بوأها صاحبها بيتًا، ونسبها إلى «السِّرِّ» بمعنى الجماع³.

وقد عُرفت الجواري في القصور بأسماء مميزة تفرق بينهن وبين سائر نساء الحريم، ومن هذه الأسماء: السراب، والندمان، ومنعم، ووافد، وعرفان، وطرفي،

¹ سناء الشعيري، المرجع السابق، 437-438

² نواره شرقي، المرجع السابق، ص 120 - 121

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 3

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

وخاص، وثرى، وزهور، وعزيزة. وتكشف هذه التسميات عن تنوع الأسماء التي كانت تُطلق على الجواري، والتي قد ترتبط بصفاتهن أو بمظاهر الجمال أو بظروف دخولهن إلى القصر¹.

وعلى الرغم من المكانة البارزة التي حظيت بها الجواري في القصر الأموي، سواء في بلاط الخليفة أو في بيوت الأمراء والوزراء، فإن غالبية الجواري ظلن خاضعات لواقع الرق والخدمة المنزلية.

فقد شكّل نظام الرق إطاراً قانونياً واجتماعياً أسهم في تحديد وضعهن داخل المجتمع، إذ وُضعن في مرتبة اجتماعية أدنى من الأحرار، على الرغم من اندماج بعضهن في الحياة العامة من خلال العمل في البيوت وخدمة أهلها، أو من خلال مشاركتهن في المجالات الأدبية والفنية. وبذلك ظل حضورهن الاجتماعي والثقافي مرتبطاً بحدود وضعهن القانوني والاجتماعي، رغم ما أتاحتها بعض المواهب والظروف الخاصة لعدد منهن من فرص للارتقاء في المكانة².

ر- جوارى الخدمة:

تُشير المصادر المتاحة إلى ندرة المعلومات المتعلقة بجواري الخدمة في الأندلس، إذ لم تورد المصادر التي تناولت المجتمع الأندلسي تفاصيل كافية عن معايير اختيارهن أو طبيعة أعمالهن.

ولعل من المرجح أن اختيارهن لم يكن قائماً على معايير محددة، وربما كان يُراعى في ذلك ما يتصل بقدراتهن ومؤهلاتهن، وليس الجمال أو الثقافة بالضرورة. ولم يقتصر دور جوارى الخدمة على القيام بالأعمال المنزلية والخدمية الشاقة، بل أسندت إلى بعضهن مهام أخرى، من أبرزها تربية أبناء أسيادهن وتعليمهم. وقد حظيت هذه الفئة من الجواري بنصيب من العلم والثقافة يؤهلن للاضطلاع بهذه المهام، مما يدل على تنوع أدوار الجواري داخل المجتمع الأندلسي وعدم اقتصرها على الخدمة المنزلية فحسب³، ومن بينهم نجد:

ز- الساقية:

وهي الجارية التي كانت تتولى خدمة الندماء في مجالس الأنس، فتسقيهم الخمر وتقدّمها إلى الضيوف المدعوين. وقد تغنّى عدد من شعراء الأندلس، كابن خفاجة وابن زيدون وعبّاد وابن شهيد وغيرهم، بصور الساقيات وما اتصفن به من

¹ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 54

² أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، د.ت، ط2، ج1، ص276.

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 18

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

جمال ورقة وحسن هيئة. وعلى الرغم من حداثة سنّهن، كنّ يضطلعن بدور بارز في إضفاء الأنس على المجالس وخدمة رّوادها. وفي الأندلس، كان اختيار الساقية يتم بعناية، إذ كان يُشترط فيها، إلى جانب القدرة على أداء مهامها، أن تكون مليحة الصورة، فاتنة الجمال، لما كان للجمال من أهمية في مجالس اللهو والأنس¹.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن عدد العبيد الذكور كان محدودًا مقارنةً بعدد الإماء والجواري، اللاتي كنّ أكثر حضورًا وتنوعًا من حيث أصولهن وانتماءاتهن، فمنهن البيضاوات والسوداوات، ومنهن من ينتمين إلى جنسيات وأصول مختلفة².

وقد أثارت قدرة هؤلاء الجواري على السهر ومواصلة خدمة الندماء إلى ساعات متأخرة من الليل إعجاب الشعراء، فعبروا عن ذلك في أشعارهم، ومن بينهم ابن شهيد، الذي أنشد مرتجلًا أبياتًا يتعجب فيها من سُهاد ساقية صغيرة تُدعى أسيماء، لم تكن تكلّ أو تملّ من مواصلة خدمة مجالس السمر وتقديم الشراب للندماء. فقال:

أفدى أسيماء من نديرو ملازي الكؤوس راتب.

قد تعجبوا في السجاد منها وهي لعمري من العجائب

قالوا: تجافى الرقاد عنها.. فقلبي: لا تترك الكواكب³.

وفي خلاصة القول، يتضح أن أمراء بني أمية وخلفاءهم، ولا سيما في الأندلس، أبدوا اهتمامًا كبيرًا بجواريهم، وخاصة أمهات أولادهم، وهو ما تشير إليه رواية ابن حزم في كتابه طوق الحمامة، إذ يقول: «وقد أحب من الخلفاء المهيدين والأئمة الراشدين كثيرًا منهم بأندلسيين: عبد الرحمن بن معاوية للتعجب، والحكم بن هشام، وعبد الرحمن بن الحكم وشغفه بطروب أم عبد الله ابنه أشهر من الشمس، ومحمد بن عبد الرحمن وأمره مع غزلان أم بنيه عثمان والقاسم

¹ سناء الشعيري، المرجع السابق، 438.

² فاضل العطار، «الجواري والسراري في المغرب قبيل معاهدة فاس: مقارنة في السلطة والجسد»، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس، المغرب، مجلة المعرفة، العدد 38، أبريل 2026، ص. 159.

³ ابن شهيد الأندلسي، ديوان ابن شهيد الأندلسي، تحقيق: يعقوب زكي ومحمود علي مكي، القاهرة: دار الكتاب العربي، د. ط، د. ت، ص. 39.

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

ومطرف معلوم، والحكم المستنصر وافتتانه بصبح أم ابنه هشام المؤيد بالله، رضي الله عنه وعنهم جميعاً، وامتناعه عن التعرض للولد من غيره».

وتبرز هذه الرواية مكانة الجواري أمهات الأولاد في حياة أمراء بني أمية، وما حظين به من محبة ومكانة خاصة لدى الحكام¹.

ثانياً: دور الجواري والمحظيات في عصر الإمارة وأثرهن على الحكم الدور السياسي الاجتماعي:

لم يكن من المألوف أن تتولى المرأة، بما فيها الجارية، منصباً سياسياً رفيعاً في الأندلس أو في غيرها من الدول الإسلامية، غير أن بعض الجواري استطعن، بفضل ما امتلكن من ذكاء وحسن تدبير وقرب من أصحاب السلطة، أن يحظين بمكانة مؤثرة في دوائر الحكم، وأن يشاركن بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تدبير بعض شؤون الدولة. وقد تحقق ذلك في بعض الحالات من خلال تمكنهن من كسب ثقة ساداتهن والتأثير فيهم، حتى أصبح لبعضهن حضور بارز داخل القصور ومراكز القرار.

وتُعد الألقاب الملكية والتشريفية التي حازت عليها بعض الجواري مؤشراً على المكانة التي بلغنها داخل البلاط، وما قد يكون لذلك من دلالة على نفوذهن أو تأثيرهن. غير أن هذه الألقاب، في حد ذاتها، لا تكفي لإثبات مدى نفوذهن السياسي أو تحديد طبيعة مشاركتهن في صنع القرار؛ إذ لا تتوافر في جميع الحالات أدلة تاريخية واضحة تثبت أنهن كنّ صاحبات قرار مباشر أو أن تأثيرهن امتد إلى تحديد مصير الدولة أو المسلمين في الأندلس. ولذلك ينبغي التعامل مع أخبار نفوذ الجواري بحذر، والتمييز بين المكانة الرفيعة التي حظين بها داخل البلاط وبين النفوذ السياسي الفعلي الذي يمكن إثباته من خلال المصادر².

و لقد كان وجود الجواري في قصور الخلفاء أكثر من مجرد حضور شكلي، إذ شكّل جزءاً من جهاز البلاط الملكي، وتميّز بمهارات متنوعة، شملت الغناء والعزف، إلى جانب معرفتهن بالأدب والشعر، بل أسهمت بعضهن أحياناً في النقاشات الفكرية والثقافية. كما كان لبعضهن دور في التأثير في الخلفاء والمشاركة في اتخاذ بعض القرارات، ولا سيما من كنّ أمهات للأمراء، حيث اكتسبن مكانة ونفوذاً داخل القصر، مما جعلهن عنصراً حاضراً في الحياة السياسية والاجتماعية في بعض الفترات³.

¹ ابن الحزم، طوق الحمامة، المصدر السابق، ص 90-91

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 69

³ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الرابعة، القاهرة، دون تاريخ، ج 2، ص 133.

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

ومن بين الجواري اللواتي حظين بنفوذ سياسي، نجد الجارية طروب، التي تُعدّ من أبرز الجواري اللواتي تمتعن بنفوذ سياسي في عهد سيدها عبد الرحمن الأوسط. فقد تمكنت من استمالة نساء القصر وفتياته وخدمه، كما كان لها تأثير واضح في سيدها، إذ استطاعت أن تؤثر في قراراته المتعلقة بولاية العهد، وتسعى إلى صرفها عن ابنه البكر محمد، ونقلها إلى ابنه عبد الله. والأرجح أن انتشار خبر هذا التأثير داخل القصر، وما ترتب عنه من تنافس حول ولاية العهد، قد أسهم في إثارة الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة، وكشف عن مدى قدرة بعض الجواري المقربات من الخليفة على التدخل في شؤون الحكم والتأثير في القرارات السياسية¹.

لم تكتفِ الجواري بممارسة النفوذ السياسي فحسب، بل سعين إلى ضمان استمراره من خلال العمل على تولية أبنائهن ولاية العهد، ومن ثمّ تأهيلهم لتولي الخلافة مستقبلاً، وهو ما أسهم في فتح باب التنافس والنزاع بين أبناء الجواري وأبناء الحرائر. وعلى الرغم من أن بني أمية لم يكونوا يرفضون مبدئياً استخلاف أبناء الجواري، فإن التنافس داخل القصر الأندلسي أتاح لبعض أمهات الأولاد التدخل في مسألة ولاية العهد، سواء سعيّاً إلى نقلها إلى أبنائهن، أو تحقيقاً لمصالح شخصية، أو إثارة للفتن داخل البلاط.

ومن أشهر المؤامرات التي ارتبطت بهذا السياق مؤامرة طروب، إذ تمكنت من استمالة فتيان القصر وخدمه إلى جانبها وجانب ابنها عبد الله، الذي وصفته بعض المصادر بالانغماس في اللهو واللذات. كما تأمرت مع النصر الخاصة، وسعتا إلى التأثير في الأمير عبد الرحمن ومن حوله داخل القصر، وإقناعه بتولية ابنها عبد الله ولاية العهد، وهو ما يكشف عن مدى قدرة بعض الجواري المقربات على توظيف نفوذهن داخل البلاط والتدخل في قضية من أهم القضايا السياسية، وهي مسألة انتقال السلطة².

ولم تقتصر مؤامرات الجواري على السعي إلى الاستيلاء على ولاية العهد لأحد أبنائهن، بل امتدت أيضاً إلى تدبير مؤامرات ذات دوافع شخصية وتسوية حسابات خاصة.

وقد اتخذت هذه المؤامرات طابعاً سياسياً بحكم وقوعها داخل قصور حكام الأندلس، أو لارتباط أطرافها بأشخاص ذوي نفوذ ومكانة سياسية في المجتمع الأندلسي. ويبدو أن هذا النوع من المؤامرات يعود إلى المراحل الأولى من دخول المسلمين إلى الأندلس؛ فقد ورد أنه لما استولى ما غيث الرومي على قرطبة، وحاز ما فيها من أموال وسبايا وسراري، لاحظ وجود جارية كانت تكثر من التعرّض له،

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 69

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 74

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

فشكا أمرها، وأمر من يتولى تعذيبها إن لم تكشف عن سبب فعلتها. فأقرت بأنها أعدت خرقاً مسمومة كانت تسمح بها عضوه عند معاشرتها، في محاولة للتخلص منه. وتكشف هذه الرواية، وإن بدت ذات طابع شخصي، عن بعض صور الصراع والمؤامرات التي ارتبطت بالجواري داخل دوائر السلطة منذ بدايات الوجود الإسلامي في الأندلس¹.

الأعمال المنزلية:

والى جانب الممارسات السياسية نجد أن الجواري مارسن العديد من الأعمال المنزلية والخدمية، إذ كنّ يؤديين مهام مختلفة في قصور الأمراء والخلفاء، وكذلك في بيوت عامة الناس، وشملت هذه المهام إعداد الطعام والشراب وتقديمه في المجالس، وتنظيف المنازل وترتيبها والعناية بسكانها.

وقد أشار التنوخي في كتابه الفرّج بعد الشدة إلى بعض المهام التي كانت تؤديها الجواري، ومنها القيام بدور البوّاب، حيث كانت الجارية تتولى فتح الباب لمن يطرقه، والإذن له بالدخول أو الإجابة عن استفساراته.

كما كانت الجواري يخرجن إلى الأسواق لشراء مختلف الحاجيات التي يحتاج إليها مواليهن، ويبدو أن بعض النساء كنّ يعتمدن على جارية خاصة تتولى خدمتهن وتوفير احتياجاتهن اليومية. وإلى جانب ذلك، اضطلعت الجواري بأعمال أخرى تتعلق بالعناية الشخصية والتزيين، كالحفّ والتمشيط، وقد أطلق على من تتولى تمشيط الشعر اسم المُمَاشِطَة.

وتشير بعض الروايات إلى تخصيص الجواري ذوات البشرة السوداء لأعمال منزلية معينة، من بينها إعداد الطعام، وحراسة الأبواب، وجمع الحطب ونقل الماء. وكان الحطب من أهم مصادر الوقود المستخدمة في الطهي والتدفئة، لذلك تولت الجواري جمعه ونقله، كما كنّ يجمعن بعض المواد القابلة للاحتراق من مخلفات الحيوانات، مثل بعر الإبل. كذلك اضطلعن بمهمة جلب المياه من الآبار ونقلها إلى البيوت والقصور، وهو ما يعكس تنوع الأعمال المنزلية والخدمية التي قامت بها الجواري في المجتمع².

الدور الثقافي والعلمي:

والى جانب دورهن في الحياة السياسية والاجتماعية، أسهمت الجواري إسهاماً بارزاً في النهضة الثقافية والأدبية التي شهدتها العصر الإسلامي، إذ برزت بينهن أسماء لامعة في مجالات الشعر والغناء والموسيقى، وتمكنت بعضهن من

¹ المقرئ، المصدر السابق، ج4، ص10

² هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 27

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

اكتساب مكانة مرموقة في الأوساط الأدبية والفنية، حتى أصبح ينافس الأدباء والشعراء من الرجال في مجالس الأدب والطرب. كما أسهم ما امتلكن من مواهب ومعارف في إثراء الحياة الثقافية والفنية، مما جعل حضورهن يتجاوز نطاق الخدمة المنزلية إلى المشاركة الفاعلة في الحياة الثقافية للمجتمع¹.

ورغم أن الخدمة المنزلية قد تبدو في ظاهرها وظيفة عادية، فإنها أتاحت للجواري فرصة الاحتكاك المباشر بأسيادهن وأفراد أسرهم، مما مكّن بعضهن من الارتقاء في المكانة الاجتماعية.

فالجارية التي كانت تجيد القراءة والكتابة، أو تتقن الغناء والعزف، كانت تحظى بقدر أكبر من الاهتمام والتميّز عن غيرها، وقد أتاح لها ذلك الانتقال إلى مجالات الأدب والفن والثقافة. وهكذا، لم تقتصر الخدمة المنزلية على كونها مجرد وظيفة، بل شكلت في بعض الحالات وسيلة مكّنت بعض الجواري من تحقيق مكانة اجتماعية أكثر أهمية².

ولم تكن قيمة الجواري في الأندلس مقتصورة على جمالهن، فقد أعجب سادتهن بذكائهن وقدرتهن على استمالة القلوب، فأصبح موضع اهتمام من الناحيتين الروحية والعقلية. ولا غرابة في ذلك، إذ كان كثير من سادتهن من المولعين بالعلم والأدب والشعر، فكانوا يبحثون عن الجارية المثقفة التي يستمتعون بمجالستها ومحادثتها، ويحرصون على تنمية معارفها وصقل مواهبها في مختلف الفنون. وربما أرسلوها في رحلة إلى المشرق لتنهّل من علومه ومعارفه، أو استقدموا لها الأساتذة والمعلمين لتوسيع مداركها وإثراء ثقافتها.

الأدب:

وبذلك اكتسبت بعض الجواري ثقافة واسعة ومتنوعة، وأصبح من الجواري المتأدبات اللاتي برعن في الأدب والشعر واللغة والنحو والعروض، إلى جانب الغناء والطرب، وبلغت بعضهن منزلة في علوم أخرى، كالتشريح والحديث وقراءة القرآن. كما اشتهرت بعض الجواري بإجادة الكتابة، وتمكنت بعضهن من تحرير الرسائل والمكاتبات المهمة، مما يدل على أن فئة من الجواري الأندلسيات تجاوز دورهن حدود الخدمة، وأسهمن في الحياة الثقافية والأدبية داخل المجتمع الأندلسي³.

لقد ظهرت بين الجواري شاعرات بارعات عبّرن عن تجاربهن الخاصة وحياتهن داخل القصور من خلال الشعر الوجداني والغزلي، بل إن بعضهن تناولن

¹ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المصدر السابق، ط4، القاهرة، ج2، ص140

² أحمد أمين، المرجع السابق، ص84

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص50

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

موضوعات نقدية عكست جوانب من الحياة الاجتماعية والسياسية في البيئة القصرية. كما كشفت أشعارهن عن مشاعر الحب والغيرة والحنين، وما ارتبط بها من تجارب إنسانية مختلفة. وقد جمعت بعض الجواري بين جمال الصوت وبراعة الشعر، مما أكسبهن مكانة متميزة في الأوساط الأدبية والفنية، حتى أصبحن ينافسن كبار الشعراء في عصرهن¹.

وقال ابن حزم الأندلسي: «تربيت في حورهن (ويقصد بالجواري)، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حدّ الشباب، وهن علّمنني القرآن، وروينني الكثير من الأشعار، ودربنني منذ أول فهمي»².

التعليم

لم تكن الجواري بعيديات عن تعلم العلوم العقلية والتطبيقية في الأندلس وتعليمها، كما سبق أن أشرنا إلى جارية ابن الكتاني، التي بلغت من العلم والمعرفة في مجال الطب مبلغًا كبيرًا، إذ كانت لها دراية بعلم الطبيعة وتشريح الأعضاء الباطنة، وغيرها من المعارف الطبية التي يعجز عن الإحاطة بها كثير من المشتغلين بهذه الصناعة³.

الغناء:

الغناء والشعر فنان متلازمان، يسير كل منهما إلى جانب الآخر، إذ شكّل الشعر مادة أساسية للغناء العربي، ولا سيما من خلال تلحينه وإنشاده وفق أوزانه وإيقاعاته. وقد أدرك ابن خلدون هذه العلاقة الوثيقة، فجعل الشعر جزءًا لا يتجزأ من صناعة الغناء، وهو ما يتضح من تعريفه لها بقوله: «هذه الصنعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يقع على كل صوت منها توقيع عند قطعه فيكون نغم، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من كيفية في تلك الأصوات».

ومن خلال هذا التعريف يتضح أن الغناء يقوم أساسًا على تلحين الشعر الموزون، وتنظيم الأصوات والنغمات وفق نسب وإيقاعات متناسقة، بما يحقق

¹ أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، الأغاني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، ج5، ص33.

² نواره شرقي، المرجع السابق، ص 122

³ ابن شكوال، الصلة، ج3، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، المكتبة الأندلسية، مج 13، ص992

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

الانسجام الموسيقي ويضفي على الشعر بعداً فنياً يزيد من جماله وتأثيره في السامع¹.

وقد انتشر الغناء العربي في الأندلس كما كان حاله في المشرق من قبل، فأقبل عليه الأندلسيون أيام عزهم لينتشوا بشعره وألحانه، ثم لاذوا إليه أيام انكسارهم لينسوا هزائمهم، ومهما آل إليه حالهم، فقد ملأ مجالس الأندلس على اختلاف عصورها، وكان لا بد من حضور الجواري ليرفهن عن قاصدي المجالس، ومن الضروري لهن أن يملكن مخزوناً شعرياً كبيراً كي يلبين جميع الأذواق أو يعبرن عن بعض المواقف ويعكسن عواطفهن وشخصياتهن من خلال غنائهن الشعري. وشغف الأندلسيون بالغناء، وعقدوا له مجالس، وكان إقبال حكام الأندلس على الغناء ومجالسه منذ أيام الإمارة الأولى حتى آخر أيام المسلمين في الأندلس. وعلى الرغم من أن المرابطين والموحدين منعوا الغناء وحاربوه، إلا أن هذا لم يمنع الأندلسيين من ممارسة الغناء، وبرز أعلام الغناء والموسيقى الأندلسية إبان عهد الموحدين، وشارك العام والخاص حباً بالغناء، حتى إن مدناً مثل إشبيلية وأبدة ومالقة اشتهرت بحب أهلها للغناء والموسيقى. وكان للجواري الوافدات، وزرياب وأبنائه وجواريه، دور كبير في وضع حجر الزاوية للغناء الأندلسي، كما كانت هناك تأثيرات أجنبية، كالأغاني الإسبانية الشعبية، التي اندمجت مع التأثيرات العربية المشرقية، فأسهمت في صقل الغناء الأندلسي².

وفي الجانب الفني، برزت الجارية العجفاء، التي تشير المصادر إلى أنها كانت مغنية جُلِبَت إلى الأندلس من المشرق، ثم قام الأمير عبد الرحمن بشرائها، واستقرت في البلاط الأموي، حيث أسهمت في الحياة الفنية والغنائية داخل القصر³.

في حين أن عبد الرحمن الداخل اشترى الجارية العجفاء، وإن كان قد عُرِضت عليه، كما ذكرنا سابقاً، جارية فُدِّمَت إليه، وأرجح أنه اشتراها بعد أن أمسك بزمام الأمور وثبت دعائم دولته، وكان معظم أمراء بني أمية على النهج نفسه⁴.

فقد كانت الجارية المغنية العجفاء من أوائل الجواري المغنيات الوافدات من المشرق إلى الأندلس، وقد اشتراها عبد الرحمن الداخل، كما سبق أن أشرنا⁵.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 758

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 202

³ المقرئ، المصدر السابق، ج 3، ص 141-142

⁴ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 203

⁵ نفسه، ص 208

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

كما كان اهتمام الأندلسيين بالجواري المثقفات دافعاً لتجار الرقيق إلى تعليم الجواري والعناية بتثقيفهن، ولم يكن ذلك دائماً ابتغاءً لتطبيق ما حثَّ عليه الإسلام من تعليمهن والإحسان إليهن وعتقهن والزواج بهن طلباً للأجر، بل كان في كثير من الأحيان بدافع تحقيق الربح وزيادة قيمتهن في سوق الرقيق؛ فكلما ارتفع مستوى الجارية العلمي والثقافي، ارتفع ثمنها، وأصبحت أكثر طلباً لدى المشترين. ولذلك عُدَّ تعليم الجواري والعناية بتثقيفهن من الوسائل المربحة التي اعتمد عليها بعض تجار الرقيق.

وقد حرص بعض هؤلاء التجار على تعليم جواريتهم مختلف العلوم والفنون، فذكر ابن الكتاني أنه علّم أربعاً من جواريه الروميات، وكُنَّ جاهلات عند شرائهن، علومًا وفنونًا متعددة، منها المنطق والحكمة والهندسة والموسيقى وعلم الإسطرلاب والنجوم والنحو والعروض والخط. كما عُرفت في الأندلس نساء متقدمات في السن كنَّ يتولين تعليم الجواري وتثقيفهن، إما تمهيداً لبيعهن بأسعار مرتفعة، أو مقابل استئجارهن لتعليم جوارٍ خاصة، وهو ما أسهم في انتشار التعليم بين فئة من الجواري ورفع مستواهن العلمي والأدبي¹.

كما برعت العديد من الجواري في فنون الغناء والرقص والموسيقى، وأسهمن في ازدهار الحركة الغنائية في الأندلس. وفي هذا السياق، نجد أن عددًا من الجواري اشتهرن بموهبتهن الغنائية، ومن بينهن مهجة، جارية الحكم بن هشام، التي برعت في الغناء لما امتازت به من حُسن الصوت وإجادة التلحين. ولم تكن مهجة القينة الوحيدة لدى الحكم، الذي عُرف بحبه للغناء والجواري، إذ كان في كنفه عدد كبير من الجواري اللواتي أجدن الغناء، من أمثال سيدنا وعزيز وفاتن.

ومن بين المغنيات البارعات أيضًا جارية تُدعى متعة، وكانت رائعة الجمال، بارعة الأداء، قوية الصوت. وقد تلقت علومها الموسيقية على يد زرياب، وأدت ألحانه وأغانيه بإتقان، ثم أصبحت تغني لدى الأمير عبد الرحمن الأوسط، فأعجب بموهبتها وأدائها. ويُروى أنها مثلت بين يديه ذات يوم تسقيه وتغني، فلما أحست بإعجابه بها، أنشدت قائلة:

يا من يغطي هواه، من ذا يغطي النمار قد حُبب أملك قلبي حتى علقه طيارة

يا ويلتاه أطراه، لي كان أو مستعار يا بابي قهره، طعنه فيه العذارة².

¹ نفسه، ص 51

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

فلما أدرك زرياب أنها حازت إعجاب الأمير وقبوله، أهدى إليه إياها، فحظيت بمكانة لديه¹.

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، ازداد إقبال البلاط الأموي بالأندلس على المغنيات والمغنين الوافدين من المشرق، إذ حرص الأمير على استقدام عدد من الجواري المغنيات، ومن بينهن فضول المدينة، وعلم المدينة، وقلم البشكنسية، إلى جانب عدد من صواحبهن. ويُعد وجود «دار المدنيات» في قصر الإمارة قرينة على كثرة عدد المغنيات المدنيات في البلاط واهتمام الأمير بهن، غير أن المصادر التي اطلعنا عليها لم تقدم معلومات وافية حول طبيعة هذه الدار أو وظائفها، الأمر الذي يجعل من الصعب تحديد الغرض الذي أنشئت من أجله على وجه الدقة².

كما ورث الأمير المنذر حب الغناء والجواري والمغنيات عن أجداده، ولا سيما منذ قيام الدولة الأموية في الأندلس. فقد هام في حب جارية مغنية تُدعى طَرَب، بعدما وقع نظره على حسننها، وأعجب بصوتها. وقرر أن يعوّض التاجر الذي قدمها إليه بمئة ألف دينار هديةً له، وهو مبلغ كبير يعكس مدى تقديره لجمالها وحسن صوتها ومهارتها في الغناء³.

ولم يقتصر دور هؤلاء الجواري على غناء المقطوعات الشعرية من نظم الشعراء المشهورين، بل كنَّ يغنين من أشعارهن أيضاً، كما اشتهرت بعض الجواري بالتلحين. فقد أشار ابن فضل الله في مسالك الأبصار إلى أن بعض الجواري وضعن ألحاناً للمقطوعات الشعرية التي غنينها، وذكر أن جواري الحكم الربضي صنعن ألحاناً عدة للتنافس في مسابقة عقدها الحكم، ففازت بها جارية تُدعى بهجة، بعد أن لحن شعر عروة بن حزام، قائلة: «وإني لتعروني لذكراك هزةً ** لها بين جلدي والعظام دبيبٌ»، كما وضعت له لحناً آخر في شعر أبي تمام⁴.

الشعر:

تمتعت الجواري، كغيرهن من أبناء المجتمع الأندلسي، بقدر من الحرية تجلّى في مظاهر حياتهن المختلفة؛ ابتداءً من حرية اللباس، ومروراً بارتياح الأسواق ومجالسة الرجال في مجالس الشراب والغناء، وانتهاءً بنظم الشعر وتأليف الكتب. وقد برزت من بينهن شاعرات امتلكن موهبة أدبية مكنتهن من التعبير عن مشاعرهن وأحاسيسهن، ولا سيما في مجال الغزل.

¹ المقرئ، المصدر السابق، ج3، ص 63

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 208

³ نفسه، ص 64

⁴ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 216

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

ومن خلال تجربتهن الشعرية، نجد أن بعض الجواري العاشقات كنّ يعبرن عن حبهن في أشعارهن دون أن يعلم محبوهن بحقيقة مشاعرهن، في حين لجأت بعضهن إلى التلميح والإشارة لاستمالة نظر المحبوب عن طريق الشعر، أو لإيقاعه في حبهن، وقد نجحن في ذلك أحياناً وفشلن أحياناً أخرى. غير أن بعض الجواري لم يرضين بالفشل، فتجرأن على البوح بمشاعرهن صراحةً من خلال أشعارهن، فكن بذلك من الرائدات في مجال شعر الغزل. ومع ذلك، لم يكن غزلهن فاحشاً أو مبتذلاً، وإنما اتسم غالباً بالرقّة والعفة، واعتمد على التلميح والإيحاء والتعبير عن العاطفة بصورة أدبية رقيقة¹.

وقد برزت من بينهن شاعرات امتلكن موهبة أدبية مكنتهن من التعبير عن مشاعرهن وأحاسيسهن، ولا سيما في مجال الغزل. ومن خلال تجربتهن الشعرية، نجد أن بعض الجواري العاشقات كنّ يعبرن عن حبهن في أشعارهن دون أن يعلم محبوهن بحقيقة مشاعرهن، في حين لجأت بعضهن إلى التلميح والإشارة لاستمالة نظر المحبوب عن طريق الشعر، أو لإيقاعه في حبهن، وقد نجحن في ذلك أحياناً وفشلن أحياناً أخرى. غير أن بعض الجواري لم يرضين بالفشل، فتجرأن على البوح بمشاعرهن صراحةً من خلال أشعارهن، فكن بذلك من الرائدات في مجال شعر الغزل.

ومن أمثلة ذلك الجارية زرياب المشرقية، فعندما أحسّت بإعجاب الأمير عبد الرحمن الأوسط بها، كما ذكرنا سابقاً، تجرأت وصارحته بحبها وإعجابها به، فقالت:

يا من يُعْطِي مَوَاهِدَها من ذا يُعْطِي النِماز قد حَبَبْتُ أَمْلَكُ قَلْبِي حتّى يَلْقَهُ فِطاز

يا ويلَها، أَمْرَأَةٌ لِي حانَ أو مستعاز؟ يا بأبي قُرْهِيا طَعِبْتُ فيه العِناز

وتكشف هذه الأبيات عن مدى جرأة الجارية في التعبير عن مشاعرها العاطفية، إذ انتقلت من التلميح إلى التصريح بحبها، مع محافظة شعرها على أسلوب رقيق قائم على العاطفة والإيحاء. وعلى الرغم من جرأتها في التعبير عن الحب، فإن غزل الجوّاري لم يكن فاحشاً أو مبتذلاً، وإنما اتسم في الغالب بالرقّة والعفة، واعتمد على التلميح والإشارة والتعبير عن العاطفة بأسلوب أدبي رقيق².

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 178

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 182-183

الفصل الأول:

الجواري والمحظيات في عصر الإمارة

ويذكر ابن الأثير الأندلسي الجارية نزهة الوهّبية، مشيرًا إلى ما تميزت به من مواهب وخصال جعلتها من بين الجواري المتميزات في مجالس الأنس والثقافة، فيقول عنها: «كانت أحذق القيان بالأندلس حذقًا وطبعًا وحسنًا وظرًا، تنشد الأشعار، وتروي الحكايات والأخبار، وتذكر أيام العرب، وتشارك في حفظ الأمثال والأنساب». ويكشف هذا النص عن اتساع المعارف التي كانت تتمتع بها بعض الجواري، فلم يقتصر دورهن على الغناء والتسلية، بل امتد إلى حفظ الشعر والأخبار والأمثال والأنساب، بما يعكس مستوى من التكوين الأدبي والثقافي داخل المجتمع الأندلسي¹.

من بين الميزات في شعرهن أيضًا أنهن كتبن شعر الحنين إلى البلاد، فقد انصهرت الجواري الشرقيات فيهن وأجناسهن وثقافتهن في المجتمع الأندلسي، إلا أن بعض الجواري الشرقيات لم يستطعن نسيان موطنهن الأول الذي عشن فيه، ولم تنس الأندلس، ولم تنس الأندلس أهلها الجواري الشرقيات بلادهن، ولم تحل قرطبة أو إشبيلية أو غرناطة محل بغداد، فالوطن يحمل ميزات لا يحملها أي بلد آخر. فلم تنس قمره الشرقية بغداد والعراق، وظلت ذكراها حرقه دائمة، فلا شيء كبغداد وفراحتها ولا نعيمها ومحاسنها كنعيمها ومحاسنها، التي بقيت قمره في حنين إلى المشرق. وهذه الأبيات:

أما على بغدادًا ومِراقها. وخطابها والسحر في أخطاها

ومبالها عند الفراق بأوج. تبتدو أملاها على أطواها

متبخرات في النعيم حانها خلق المصوى العذري من أخطاها

نفس الفداء لها، فأبى محاسن في الدمر تفرق من سنا إخراجها²

¹ سناء الشعيري، المرجع السابق، 440

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 188

الفصل الثاني: الجوارى والمخطيات فى عىر الخلفة

أولاً: الجوارى والمخطيات فى عهد الخلفة (183هـ -

222هـ)

فى عهد عبد الرحمن الناصر: الإطار التاريخى والسىاسى.

أولاً: الجوارى والمخطيات فى عهد عبد الرحمن الناصر

وظيفته هشام بن عبد الرحمن الناصر.

ثانياً: دور الجوارى والمخطيات فى عىر الخلفة وأثرهمن

على الحكم

الدور السىاسى الاجتماعى.

الدور الثقافى والعلمى.

ثالثاً: المقارنة بين أدوار الجوارى فى عىر الإمارة

وعىر

عرفت الدولة الأموية نظام حكم وإدارة مركزي يقوم على سلطة الخليفة بعد أن كان يقوم على نظام حكم الإمارة، الذي يعد أعلى هيئة في الدولة ويشرف على مختلف شؤونها السياسية والعسكرية والإدارية. وقد اعتمد الخلفاء الأمويون على تنظيم إداري متطور شمل إنشاء الدواوين مثل ديوان الجند وديوان الخراج لتسيير شؤون الدولة بشكل منظم. كما قُسمت الدولة إلى ولايات يحكمها ولاة يعينهم الخليفة لمراقبة الأقاليم وضمان الاستقرار. وتتميز هذا النظام بالاعتماد على القوة العسكرية لتثبيت الحكم وتوسيع الدولة. ومع ذلك، فقد عرف بعض التفاوت في تطبيق العدالة بين مختلف الأقاليم.

أولاً: الجواري والمحظيات في عهد الخلافة (183هـ-222هـ)

تولّى الأمير عبد الرحمن بن محمد إمارة الأندلس بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني سنة 300هـ/912م، وكان عبد الرحمن الأول الداخل قد أسس الإمارة الأموية في الأندلس. وقد تعلّقت الآمال بالأمير الشاب عبد الرحمن بن محمد، الذي حمل لقب عبد الرحمن الثالث، ولم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، فتمكّن سريعاً من أن يصبح المؤسس الثاني للدولة الأموية في الأندلس، بعدما نجح في القضاء على الفتن والثورات، وفي مقدمتها ثورة عمر بن حفصون التي انتهت سنة 315هـ/928م. وبذلك أعاد توحيد الأندلس سياسياً، ثم أعلن قيام الخلافة الأموية في قرطبة سنة 316هـ/929م، واتخذ لنفسه لقب «الناصر لدين الله». وشهدت الأندلس في عهده عصرًا من الازدهار السياسي والاقتصادي والعلمي والثقافي، استمر حتى وفاته سنة 350هـ/961م¹.

كانت عاصمة الإمارة الأموية مدينة قرطبة، ثم تحولت إلى خلافة عندما أعلن عبد الرحمن الناصر لدين الله نفسه خليفةً للمسلمين في الأندلس في ذي الحجة سنة 316هـ/929م، متخليًا عن لقب أمير الذي حمله الأمراء الأمويون منذ أن أسس عبد الرحمن الداخل الإمارة الأموية بالأندلس، وامتخذًا لقب أمير المؤمنين والناصر لدين الله، إيمانًا بقيام الخلافة الأموية في الأندلس².

في عهد عبد الرحمن الناصر: الإطار التاريخي والسياسي.

ما إن تولّى الأمير عبد الرحمن الثالث إمارة الأندلس سنة 300هـ/912م، حتى بادر إلى استمالة العديد من زعماء الدويلات المستقلة، ومن أبرزهم بنو حجاج في إشبيلية وقرمونة، وذلك سنة 301هـ/913م، بهدف توحيد البلاد والتفرغ

¹ سوزي حمود، المرجع السابق، ص 77

² ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم، ج2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987، ص 63.

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

لمواجهة عمر بن حفصون والقضاء على ثورته، التي انتهت فعلياً سنة 315هـ/927م. وقد أسهم القضاء على هذه الثورة في تعزيز سلطة عبد الرحمن الثالث وتشجيعه على إعلان الخلافة الأموية في قرطبة سنة 316هـ/929م، رغم استمرار بعض التمردات في بطليوس وباجة، اللتين واصل إخضاعهما بعد قيام الخلافة. وتمكن من دخولهما سنة 317هـ/929م، وبذلك استكمل إلى حد كبير توحيد الأندلس تحت سلطته¹.

في عهد عبد الرحمن الناصر، تمكنت الدولة الأموية من إخضاع الأرسطراطية العربية التي كانت تتركز بصورة خاصة في الحواضر والمدن الكبرى، ولا سيما في قرطبة، بينما كانت تُوكل إدارة ضياعها الواسعة إلى الموالي والبربر. وقد سعى أمراء بني أمية، منذ عهد عبد الرحمن الداخل، إلى الحد من نفوذ هذه الأرسطراطية وإخضاعها لسلطة الدولة، إلا أن عبد الرحمن الناصر هو الذي نجح في إنهاء هيمنتها السياسية والاجتماعية، وعمل على تعزيز مكانة الموالي والصفالبة، معتمداً عليهم في إدارة الدولة وتوطيد أركان حكمه².

وبعد القضاء على معظم الثورات والتمردات التي سبق ذكرها، أعلن الأمير عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة للمسلمين يوم الجمعة 2 ذو الحجة سنة 316هـ/16 يناير 929م، واتخذ لقب «أمير المؤمنين الناصر لدين الله». وقد عكس هذا الإعلان حنكته السياسية وإدراكه لمدى الضعف الذي آلت إليه الإمارة الأموية في عهد الأمراء الثلاثة الذين سبقوه، نتيجة ما شهدته البلاد من ثورات وتمردات أدت إلى ظهور دويلات مستقلة. فنجح عبد الرحمن الثالث في إعادة توحيد الأندلس، مستخدماً القوة تارة واللين والمهادنة تارة أخرى، كما عمل على استعادة مكانة الدولة الأموية وتعزيز نفوذها في مواجهة الممالك المسيحية في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، وفي مقدمتها مملكة ليون وقشتالة.

رغم أنه كان من المتوقع أن تتحول مدينة الزهراء إلى عاصمة جديدة للخلافة الأموية في الأندلس، فإنها لم تتمكن من أن تحل محل قرطبة، التي استمرت عاصمةً للخلافة ومركزاً سياسياً وحضارياً مهماً. فقد واصلت قرطبة تألقها وازدهارها، خاصة منذ أن اتخذها عبد الرحمن الناصر لدين الله حاضرةً لخلافته سنة 316هـ/928م، وعمل على توسيع مساحتها وتطوير عمرانها. وقد بلغت قرطبة في عهده أزهى عصورها، حتى قُدِّر عدد سكانها بنحو نصف مليون نسمة، وأصبحت من أكثر مدن أوروبا ازدهاراً بالسكان.

وقد وصفها بعض المؤرخين بأنها «فقد أصبحت قرطبة قاعدة الأندلس، وأمّ المدائن، وقرار الخلافة، ودار الملك، تُجبي إليها ثمرات كل جهة، وخيرات كل

¹ سوزي حمود، المرجع السابق، ص 78

² محمد عبد الله عنان، المصدر السابق، ص 204

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

ناحية، ويقصدها الناس من مختلف الأقطار، لما كانت تتمتع به من مكانة سياسية واقتصادية وعمرانية، حتى غدت من أعظم حواضر الأندلس وأكثرها ازدهاراً.¹

وقد أسهم إعلان الخلافة في تعزيز مكانة عبد الرحمن الثالث داخل قرطبة والأندلس، لما كان لمنصب الخلافة من مكانة دينية وسياسية في نفوس المسلمين. وبذلك تحولت الأندلس في عهده من إمارة أموية إلى خلافة أموية، وتمكن الناصر لدين الله من توطيد مكانة الدولة الأموية داخلياً وخارجياً، وأصبح ينافس الخلافة العباسية التي كانت تسيطر على المشرق الإسلامي منذ سنة 132هـ/750م، وكذلك الخلافة الفاطمية التي قامت في إفريقيا سنة 297هـ/909م، ودخلت في صراع سياسي ومذهبي مع العباسيين والأمويين. ومن ثم أصبح إعلان عبد الرحمن الثالث للخلافة تعبيراً عن رغبة في تثبيت الشرعية السياسية والدينية للدولة الأموية في الأندلس وتعزيز مكانتها في العالم الإسلامي.²

تحولت الإمارة الأموية في الأندلس، مع تولي عبد الرحمن الثالث الحكم سنة 300هـ/912م، من مرحلة الإمارة إلى مرحلة الخلافة، وذلك بعد إعلانه قيام الخلافة الأموية في قرطبة سنة 316هـ/929م.³

¹ سوزي حمود، المرجع السابق، ص 82 - 83

² نفسه، ص 80

³ نفسه، ص 77

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

الجواري والمحظيات في عهد عبد الرحمن الناصر وخليفته هشام بن عبد الرحمن الناصر.

لا يمكن لأي فرد في المجتمع أن يستغني عن مظاهر الترف أو يحاربها مطلقاً، فكل إنسان بفطرته يبحث عن وسائل الراحة التي تحقق له المتعة والكرامة في الحياة. وبالمقابل، فإن انغماس الفرد في حياة النعيم والرفاه قد يؤدي إلى خلق العديد من المشكلات، أقلها أن يذهب بعيداً في اللهو، غير آبه بمسؤولياته وغير مكترث بها. ولعل هذا ما يظهر عند حكام بني أمية في الأندلس، إذ أدى انغماسهم في حياة الترف والرفاه إلى اهتمامهم البالغ بالجواري، واتخاذهم مظهرًا من مظاهر الترف في حياتهم داخل القصور¹.

تسللت الجواري إلى قصور الخلفاء والأمراء، وامتلأت بهن، حتى استطاعت بعضهن أن تسلب عقول مواليهن وقلوبهم، وأصبحن من أقرب النساء إلى قلوب الخلفاء والأمراء، وأكثرهن حضوراً في مجالسهم، يأنسون بمجالستهن ويشاركنهن مجالس الشراب واللهو. وقد بلغ تعلق بعض الخلفاء والأمراء بالجواري وشدة عشقهم لهن حدًا تجاوز مجرد الاقتناء والمجالسة، ليصل في بعض الحالات إلى الزواج بهن².

وتذكر المصادر أن قصر عبد الرحمن الناصر كان قد امتلأ بالجواري، الأمر الذي يعكس كثرة عددهن وحضورهن البارز في البلاط الأموي خلال عهده³. وقد سبى عبد الرحمن الناصر لدين الله ثلاثمائةً ونيفاً من النساء إثر غزواته على أرض جليقية سنة 344هـ، وهو ما يدل على كثرة السبايا التي كانت تسفر عنها الحملات العسكرية.

وإذا كان هذا العدد قد نتج عن غزوة واحدة، فكم بلغ عدد السبايا التي أخذت في مجموع غزواته وحملاته العسكرية؟⁴

أوكل الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله إلى ابنه وولي عهده، الحكم الثاني الملقب بالمستنصر، مهمة الإشراف على بناء مدينة الزهراء، التي بدأ تشييدها سنة 325هـ/936م واستمر بناؤها إلى حدود سنة 336هـ/947م. وقد شارك في تشييدها عدد كبير من العمال والحرفيين، بإشراف المهندس مسلمة بن عبد الله

¹ يوسف كاظم جفيل الشمري، عدي سهر عباس، «أنواع مجالس الخلفاء والأمراء العباسيين (132هـ-334هـ)»، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كلية التربية والعلوم الإنسانية، العدد 23، 2015م، ص. 428.

² هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 28

³ محمد عبد الله عنان، المصدر السابق، ص 204

⁴ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 20

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

وعريف البثانيين عبد الله بن يونس، مما أسهم في ظهور مدينة الزهراء بوصفها من أبرز مظاهر القوة والازدهار العمراني في عهد الخلافة الأموية بالأندلس¹.

وشارك في بناء مدينة الزهراء نحو عشرة آلاف عامل وحرفي، إلى جانب ألف وخمسمائة دابة، وكانوا يعملون يوميًا على مدى عشر سنوات، قبل أن ينتقل إليها الخليفة الناصر لدين الله رفقة أفراد أسرته ورجال حاشيته وجنده، إضافة إلى نقل بيت المال إليها، وذلك سنة 336هـ/947م. وقد أشار المقرئ إلى رواية مفادها أن الناصر لدين الله بنى مدينة الزهراء تخليدًا لذكرى جارية له كانت تُدعى الزهراء²، وهو ما يعكس، إن صحت هذه الرواية، المكانة التي كان يمكن أن تحظى بها بعض الجواري داخل البلاط الأموي بالأندلس، وما بلغنه من حضور في الحياة الخاصة والرمزية لدى الخلفاء³.

ومن مظاهر اهتمام السادة بالجواري في قصورهم وحرصهم على تلبية رغباتهن، تذكر الروايات أن الزهراء، لما رأت وحشة الجبل الأسود، طلبت من الخليفة الناصر أن يزيله، فلما عرض الأمر على خاصته أخبروه باستحالة ذلك، فأمر بزراعة أشجار التين واللوتس على الجبل، ليضفي عليه منظرًا أكثر جمالًا. ولم تكن هذه الهدية الغريبة والثرينة موجهة إلى الزهراء وحدها، بل أسهمت كذلك في تجميل قرطبة وإضفاء مزيد من الروعة عليها، ولا سيما في فصل الربيع.

كما حفظ المؤرخون قصة أخرى عن هدية المعتمد بن عباد لجاريته اعتماد الرميكية؛ إذ إنها اشتهدت المشي في الطين بعدما رأت الجواري يمشين فيه، فأمر المعتمد بسحق أنواع مختلفة من الزهور وخلطها بماء الورد حتى أصبحت في هيئة الطين، تلبيةً لرغبتها. وروي كذلك أنها رأت يومًا الثلج يتساقط على قرطبة فأعجبها منظره، فأمر المعتمد بغرس الأشجار في هضاب قرطبة، بحيث تزهر في أواخر الشتاء، فتبدو الهضاب وكأنها مكسوة بالثلج⁴.

ومن الملاحظ أن الهدايا التي قُدِّمت للجواري كانت مرتفعة القيمة، وتنوّعت بين هدايا مادية، كالعقود والنقود والقصور، وأخرى اتخذت طابعًا معنويًا وجماليًا،

¹ أحمد بن محمد التلمساني المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ج 1، 1949، ص 26
² يُشار إلى أن الناصر لدين الله أراد بناء مدينة الزهراء لتكون مدينةً تخلّد اسمه وتعبّر عن قوة الدولة الأموية ومكانتها، فخصّها بقصره وأسرته وحاشيته ورجال جيشه. أمّا تسمية الزهراء، فقد تعددت الروايات حول أصلها؛ فقليل إنها سُمّيت بذلك نسبةً إلى القصور الزاهية التي أنشأها الناصر لدين الله في المدينة، وقيل أيضًا إن التسمية ارتبطت بجمالها وما زُرِع فيها من أشجار اللوز والتين التي كانت تنفتح أزهارها، فأضفت على المدينة منظرًا جميلًا وزاهيًا، أنظر:

سوزي حمود، المرجع السابق، ص 81

³ المقرئ، المصدر السابق، ج 2، ص 110

⁴ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 95

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

كتزيين الجبل الأسود وسكب العطور والطيب. ومع ذلك، فإن هذه الهدايا، على اختلاف أشكالها، اتسمت بارتفاع تكلفتها المادية، مما يعكس مكانة الجواري وما حظين به من عناية واهتمام في قصور الحكام والسادة بالأندلس¹.

ولما كان للجواري من مكانة وتأثير في نفوس بعض الأمراء، فقد انعكس ذلك أحياناً على أسمائهم وألقابهم، ويعدّ المعتمد بن عباد خير مثال على ذلك. فقد جرت عادة الخلفاء والحكام في الأندلس على اتخاذ ألقاب عند توليهم الحكم، من قبيل: المعتمد بالله، والمعتصم بالله، والمتوكل على الله، وغيرها من الألقاب. غير أن محمد بن عباد اتخذ لقب «المعتمد» نسبةً إلى زوجته اعتماد الرميكية، التي كانت في بداية حياتها جاريةً تعمل في خدمة الرميك بن حجاج، قبل أن تجمعها قصة حب بالمعتمد بن عباد وتنتهي بزواجه منها.

وتروي المصادر أخباراً عديدة تكشف مدى تعلق المعتمد باعتماد واستجابته لرغباتها، حتى إنه كان يبذل الغالي والنفيس في سبيل إرضائها. ومن أشهر ما يُروى في هذا السياق أن اعتماداً رأت ذات يوم، من شرفة قصرها، منظر الثلج، فأعجبت به وتمنت أن يتكرر هذا المشهد طوال السنة. ولما أخبرت المعتمد برغبتها، أمر بغرس أشجار اللوز في المواضع المحيطة بالقصر، حتى إذا أزهرت بدت أزهارها البيضاء للناظر كأنها الثلج.

وتُعدّ حكاية الطين مثلاً آخر على مدى استجابة المعتمد لرغبات اعتماد؛ إذ يُروى أنها رأت ذات يوم نساءً يبعن اللبن ويُدسن الطين بأقدامهن بعد فراغهن من عملهن، بينما تعلقو ضحكاتهن المكان، فتذكرت أيامها الماضية حين كانت تعمل في بيع اللبن وتغسل الثياب على ضفاف النهر. فأخبرت المعتمد بما تذكرته، فما كان منه إلا أن سعى إلى تحقيق رغبتها، فأمر بأن يُفرش الطين في حديقة القصر، ويُخلط بالمسك والكافور، حتى تتمكن اعتماد من السير فيه واستعادة صورة من ذكريات ماضيها. وتكشف هذه الروايات عن المكانة التي بلغتها بعض الجواري بعد انتقالهن إلى طبقة القصور، وعن قدرتهم على التأثير في الأمراء والملوك، حتى غدت رغباتهن محل عناية واستجابة².

ورغم ما نُقل عن اهتمام الناصر لدين الله بالجواري واستجابته لبعض آرائهن ومطالبهن، فإن مصادر أخرى تورد مواقف تكشف جانباً مغايراً من تعامله معهن. ومن ذلك ما ترويهِ بعض الأخبار عن أن الغيرة على مكانته وذكورته دفعته إلى معاقبة إحدى محظياته وإحراق وجهها، بعد أن أبدت ضجرها وتبرمها منه. ويعكس هذا الموقف جانباً من التصورات الاجتماعية المرتبطة بالذكرورة في ذلك العصر، إذ كانت المكانة الذكورية تُعد جزءاً من الهوية والسلطة، ولم يكن يُنظر إلى

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 96

² سناء الشعيري، المرجع السابق، 442

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

إظهار المرأة، ولا سيما الجارية المملوكة، للاستخفاف بالرجل أو التقليل من شأنه بوصفه أمرًا مقبولاً. ومن ثم، يمكن فهم هذا السلوك في إطار الرغبة في الحفاظ على الهيبة الذكورية والسلطة، حيث كان أي تعبير من الجارية عن الرفض أو التبرم يُنظر إليه باعتباره مساساً بمكانة السيد وسلطته عليها¹.

ثانيًا: دور الجواري والمحظيات في عصر الخلافة وأثرهن على الحكم الدور السياسي الاجتماعي.

تدل بعض الروايات والأخبار الأندلسية على أن عددًا من أمهات الأولاد شاركن في تدبير مؤامرات سياسية، كان الهدف منها تمكين أبنائهن من الوصول إلى مقاليد الحكم، وقد نجحت بعض هذه المساعي، في حين أخفقت أخرى. ومن الجدير بالذكر أن معظم الجواري اللواتي ظهر لهن تأثير في الحياة السياسية كنّ من أمهات الأولاد المقربات من الحكام، وقد حفظ المؤرخون أخبار عدد منهن لما كان لهن من حضور داخل البلاط.

كما تكشف الروايات عن تشابه الأساليب التي اتبعنها في تحقيق أهدافهن؛ إذ كنّ يلجأن إلى أصحاب النفوذ والقوة داخل الدولة، ممن يمتلكون السلطان والقدرة على التأثير في مجريات الأحداث، للاستعانة بهم في الوصول إلى مرادهن وتمكين أبنائهن من الحكم. وكان شركاؤهن في هذه التحركات من الطامحين إلى السلطة أو المستفيدين منها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مما جعل مصالح الطرفين تلنقى في كثير من الأحيان، ودفعهم إلى التعاون في تدبير تلك المؤامرات السياسية².

حظيت الجواري في الأندلس بمكانة متميزة داخل المجتمع الأندلسي، إذ لم يقتصر حضورهن على الحياة الاجتماعية، بل امتد ليشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية، كما كان لبعضهن تأثير ملحوظ في الحياة السياسية بحكم صلتهم المباشرة بالحكام ورجال الدولة. فقد أسهمن في بعض الصراعات والمؤامرات السياسية، ونقل الأخبار، والتأثير في قرارات السلاطين والخلفاء، سواء من خلال تقديم المشورة أو التأثير في تعيين بعض رجال الدولة أو عزلهم.

وقد برز هذا الدور بصورة أوضح في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، ولا سيما منذ إعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة سنة 316هـ/929م، حيث ازداد نفوذ نساء القصر والجواري، وأصبحت آراؤهن تحظى بالاهتمام في بعض شؤون الحكم، وإن كان مدى هذا النفوذ يختلف باختلاف قوة الخليفة وشخصيته.

كما أن المكانة التي اكتسبتها الجواري عن طريق الولادة، ولا سيما من عُرفن بـ«أمهات الأولاد»، أسهمت في منحهن قدرًا من السلطة المعنوية داخل بيوت

¹ وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 177

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 6

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

أسيادهن. فقد أصبحت بعض الجواري، بعد إنجابهن من أسيادهن، أكثر تأثيراً في القرارات الأسرية، وأحياناً في علاقات السادة بمحيطهم السياسي والاجتماعي. ويعكس ذلك أن بعض الجواري استطعن تجاوز الدور التقليدي المرتبط بالخدمة، ليصبحن جزءاً فاعلاً من الحراك الاجتماعي، ولم يعد حضورهن مقتصرًا على كونهن عنصرًا هامشيًا في المجتمع¹.

ومن أشهر الأمثلة على ذلك جارية عبد الرحمن الناصر الزهراء التي ذكرناها أنفاً، التي ارتبط اسمها بمدينة الزهراء، إذ تذكر بعض الروايات التاريخية أن الناصر أنشأ هذه المدينة شمال غربي قرطبة سنة 325هـ/936م إكراماً لها وتخليداً لاسمها. وقد أصبحت مدينة الزهراء من أعظم الإنجازات العمرانية في العصر الأموي بالأندلس، وعكست ما بلغته الدولة من تقدم في فنون العمارة والزخرفة والنقش، غير أن الروايات التي تزعم أن بناء المدينة كان بناءً على طلب الزهراء أو أنه نُقشت صورتها فيها تظل روايات أدبية لا تؤيدها الأدلة التاريخية والأثرية بشكل قاطع، ولذلك ينبغي التعامل معها بحذر في الدراسات الأكاديمية².

ومن بين جواري الخليفة عبد الرحمن الناصر اللاتي كان لهن تأثير في الحياة السياسية بالأندلس، برزت الجارية الرومية مرجان، أم الخليفة الحكم المستنصر بالله. وقد ازدادت مكانتها في البلاط الأموي بعد أن أنجبت الحكم سنة 302هـ/915م، إذ استقبل الناصر مولده بفرح كبير، لكونه الوريث الذي طال انتظاره، فحظيت مرجان بمزيد من القرب والاهتمام داخل القصر³.

استمر نفوذ الجواري السياسي وازداد اتساعاً خلال عصر الخلافة، ومن أبرزهن الجارية مرجان، محظية الخليفة عبد الرحمن الناصر، التي حظيت بمكانة رفيعة داخل القصر، وأصبحت من النساء المقربات إليه، مما أتاح لها ممارسة نفوذ سياسي مباشر. وقد أشار بعض المؤرخين إلى مكانتها ودورها في البلاط، الأمر الذي يعكس تنامي نفوذ الجواري في الحياة السياسية خلال عصر الخلافة الأموية في الأندلس⁴.

وقد مكنها ذكاؤها وحسن تدبيرها من اكتساب ثقة الخليفة، وتذكر المصادر أنها أسهمت في ترسيخ مكانة ابنها بوصفه ولياً للعهد، حتى أعلن الناصر بيعته وهو

¹ ابن الاثير، المصدر السابق، ج6، ص 220

² خالد بلعربي، "المرأة في الأندلس في عهد الخلافة الأموية (316-422هـ/929-1031م): دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي"، مجلة رفيف، مخبر المخطوطات الجزائرية، المجلد 12، العدد 2، نوفمبر 2024، ص. 841 - 842

³ نفسه، ص 842

⁴ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 70

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

لا يزال صغير السن، حرصًا على استقرار نظام الخلافة واستمرار الحكم في البيت الأموي. كما أسهمت الخطوة التي نالتها مرجان لدى الخليفة في تعزيز نفوذها داخل القصر، الأمر الذي حدّ من تأثير كثير من نساء البلاط، وجعلها من أكثر الجواري حضورًا في الحياة السياسية خلال تلك المرحلة¹.

وقد أظهر عبد الرحمن الناصر لدين الله، عبد الرحمن الثالث، بعض المظاهر التي تدل على أن عددًا من الجواري نلن قدرًا من الاحترام والتقدير داخل البلاط الأموي، وفي مقدمتهن الجواري المتأديات اللاتي حظين بمكانة متميزة. كما كانت بعضهن أمهات للأمراء والخلفاء، مما أسهم في ارتفاع منزلتهن داخل المجتمع الأندلسي، ومنحهن ألقابًا فخمة لم يحصل عليها بعض الرجال أو النساء الحرائر. ومن بين هؤلاء الجواري مرجان، التي حظيت بمكانة رفيعة في البلاط، وصبح البشكنسية، التي عُرفت بألقاب متعددة، منها «السيدة صبح» و«أم المؤيد» و«السلطانة صبح». كما عُرفت الرمكية بألقاب، منها «أم الرابع» و«السيدة الكبرى» و«أم الملوك»، في حين عُرفت راضية بلقب «الكوكب الزاهي». وتكشف هذه الألقاب عن المكانة التي استطاعت بعض الجواري بلوغها داخل البلاط الأندلسي، وما حظين به من احترام وتقدير وحظوة، بما يعكس تفاوت مكانة الجواري واختلاف أدوارهن داخل المجتمع الأندلسي².

كما اشتهرت في عصر الخلافة الجارية راضية، إحدى جواري الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكانت تُعرف أيضًا باسم نجم³.

واستمر نفوذ بعض الجواري وزوجات الخلفاء خلال عصر الخلافة الأموية بالأندلس، ويبرز ذلك بوضوح في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961-976م). فقد تمتعت زوجته وجاريته صبح البشكنسية⁴، والدة ولي العهد هشام المؤيد بالله، بمكانة كبيرة داخل البلاط، الأمر الذي أتاح لها ممارسة نفوذ سياسي واضح في شؤون الدولة⁵.

¹ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 842

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 47

³ نفسه، ص 56

⁴ البشكنسية: نسبة إلى البشكنس، وهم قوم استوطنوا المناطق الواقعة على الحدود الشمالية لشبه الجزيرة الإيبيرية، بالقرب من فرنسا ونواحي نبرة. وقد عُرف لهم لسان خاص بهم، هو لغة البشكنس، التي لا يزال بعض السكان يتحدثون بها إلى اليوم، إلى جانب الإسبانية والفرنسية. ووصفهم بعض المؤرخين بأنهم قوم أشداء غلاظ، يغلب على بشرتهم السمرة، بينما يميل سكان المناطق الجبلية المرتفعة إلى الشقرة، أنظر: شكيب أرسلان، الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج. 1، ط. 1، 1355هـ/1936م، مطبعة الرحمانية، مصر، ص. 321 -

328

⁵ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 112

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

وقد حرصت صبح على تثبيت ولاية العهد لابنها هشام، مستفيدة من مكانتها لدى الخليفة ومن شبكة علاقاتها داخل القصر، حتى نجحت في ضمان انتقال الحكم إليه رغم صغر سنه. وقد هيا هذا القرار الظروف لزيادة نفوذ رجال البلاط والحجابة، وفي مقدمتهم الحاجب محمد بن أبي عامر، الذي أصبح صاحب السلطة الفعلية في الدولة.

وبعد وفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، تولى هشام المؤيد بالله الخلافة وهو لا يزال حدث السن، الأمر الذي أدى إلى احتدام التنافس بين القوى السياسية داخل البلاط حول إدارة شؤون الدولة، واستغلت صبح نفوذها للمحافظة على عرش ابنها، مما أسهم في بروز صراعات سياسية كان لها أثر بالغ في تطور نظام الحكم خلال أواخر عصر الخلافة الأموية بالأندلس¹.

وقد تمكنت صبح من تهيئة نفوذ واسع لنفسها، إذ استطاعت أن تستأثر بقلب سيدها الخليفة الحكم المستنصر بالله، الذي كان متقدماً في السن، بينما كانت هي في مقتبل شبابه، مستفيدةً في ذلك من جمالها وذكائها وشبابها. كما كانت المرأة الوحيدة التي أنجبت له ولداً، مما عزز مكانتها لديه، ومكّنها من ممارسة تأثير كبير في إدارة شؤون الدولة، ولا سيما في ما يتعلق بتعيين الموظفين ورجال الدولة، ومن أبرز مظاهر ذلك دورها في دعم محمد بن أبي عامر والإسهام في صعوده السياسي².

وقد نجحت صبح البشكنسية في إقناع الخليفة الحكم المستنصر بالله بتولية ابنها الوحيد هشام المؤيد بالله ولاية العهد، بدلاً من أخيه المغيرة، وبذلك تمكنت من ترجيح كفة ابنها في مسألة الخلافة. كما استمر نفوذها داخل القصر، وازداد تأثيرها في شؤون الدولة، مستفيدةً من مكانتها لدى الخليفة ومن قربها منه³.

وعقب وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، برزت خلافات حول إدارة شؤون الدولة بسبب صغر سن الخليفة الجديد هشام المؤيد بالله. وانقسمت القوى السياسية في البلاط بين مؤيدين لاستمرار الحكم باسمه تحت وصاية المقربين من القصر، وفي مقدمتهم والدته صبح البشكنسية، وبين أنصار الحاجب محمد بن أبي عامر المعافري، الذي استطاع تدريجياً بسط نفوذه على مؤسسات الدولة.

وقد تمكن محمد بن أبي عامر، الملقب لاحقاً بالمنصور، من احتكار السلطة الفعلية في الأندلس، إذ أصبحت جميع شؤون الدولة تدار باسمه، بينما اقتصر دور

¹ المصدر نفسه، ج2، ط2، ص 112

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 70

³ المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص 382

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

الخليفة هشام المؤيد بالله على الاحتفاظ باللقب والشرعية الدينية والسياسية. وحقق المنصور هذا النفوذ بعد أن نجح في إقصاء خصومه من رجال الدولة وبعض أفراد الأسرة الأموية، معتمداً على سياسة قائمة على استمالة الأنصار، وإضعاف منافسيه، وتدبير التحالفات السياسية التي ضمنت له الانفراد بإدارة الدولة.

وكان لصبح البشكنسية دور مهم في صعود محمد بن أبي عامر؛ إذ أولته ثقته، وأسندت إليه الإشراف على شؤون ابنها الخليفة الصغير، كما حظي بتأييدها داخل القصر، وهو ما عزز مكانته لدى الحكم المستنصر بالله في أواخر عهده، ومهد الطريق أمامه لتولي منصب الحجابة، ثم الانفراد بالسلطة بعد وفاة الخليفة.

وبذلك دخلت الأندلس مرحلة جديدة عُرفت بسيطرة الدولة العامرية، التي استمدت مشروعيتها من الحكم باسم الخليفة الأموي هشام المؤيد بالله، في حين انتقلت السلطة التنفيذية الفعلية إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر، مع بقاء الخلافة الأموية قائمة من الناحية الشكلية¹.

وفي مرحلة لاحقة، تبدلت العلاقة بين صبح البشكنسية والحاجب محمد بن أبي عامر، بعدما توسع نفوذه السياسي والعسكري وأصبح صاحب السلطة الفعلية في الدولة، في حين اقتصر دور الخليفة هشام المؤيد بالله على الجانب الشكلي. وقد عزز المنصور سيطرته على شؤون الحكم، وأحكم الرقابة على الخليفة، حتى غدا الأخير معزولاً عن إدارة الدولة، بينما تولى الحاجب تسيير جميع شؤونها باسمه.

وأمام هذا الواقع، شعرت صبح البشكنسية بأن نفوذها ونفوذ ابنها قد أصبحا مهددين، فسعت إلى استعادة السلطة الفعلية للخليفة هشام المؤيد بالله. وتشير بعض المصادر إلى أنها دخلت في اتصالات سرية مع زعيم البربر زيري بن عطية، أمير قبائل زناتة بالمغرب الأقصى، ووعدته بالدعم المالي مقابل مساعدتها في التخلص من الحاجب المنصور وإعادة السلطة إلى الخليفة.

غير أن محمد بن أبي عامر تمكن من كشف هذه الاتصالات قبل تنفيذها، فأفشل المخطط، وعزز قبضته على الحكم، لتستمر الدولة تحت سيطرته حتى وفاته، ثم انتقلت السلطة بعده إلى ابنه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن شنجول، مع بقاء الخلافة الأموية قائمة من الناحية الاسمية².

ومن مظاهر تدخل الجواري في الحياة السياسية أيضاً ما يُروى عن دُلافة، والدة الحاجب عبد الملك المظفر بن أبي عامر، الذي تولى الحجابة بعد وفاة والده المنصور سنة 392هـ/1002م. فقد تذكر بعض المصادر التاريخية أنها مارست نفوذاً داخل البلاط، وكان لها تأثير في بعض قرارات ابنها السياسية.

¹ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 89

² خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 844

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

وتشير هذه الروايات إلى أن دُلافة كانت على خلاف مع الوزير عيسى بن سعيد القطّاع، إذ عارضت تقربه من ابنها وتشجيعه له على الزواج من إحدى الجواري، وهو ما رأت فيه تهديدًا لمكانتها ونفوذها داخل القصر. كما تذكر المصادر أنها حذرت عبد الملك من مؤامرة يُزعم أن الوزير كان يدبرها ضده، الأمر الذي دفعه إلى التحقق من صحة هذه الأخبار، قبل أن يتخذ قرارًا بالتخلص من الوزير بعد اقتناعه بوجود خطر يهدد سلطته.

وتعكس هذه الرواية مدى ما بلغته بعض نساء القصر من نفوذ في توجيه القرارات السياسية، وإن كانت تفاصيلها تعتمد على روايات تاريخية ينبغي التعامل معها بنوع من الحذر، نظرًا لاختلاف المؤرخين في تفسير دوافعها وملابساتها¹.

ومن الأدوار الاجتماعية التي اضطلعت بها بعض النساء في الأندلس مشاركتهن في تجارة الرقيق، حيث تشير المصادر إلى أن بعضهن تخصصن في الإشراف على الجواري وإعدادهن للبيع. وقد عُرفت إحداهن في الأسواق بلقب «السُّكرتيرة»، وكانت تتولى تنظيف الجواري والعناية بهن، والتأكد من سلامتهن وخلوهن من العيوب الظاهرة، ثم مرافقة بعضهن إلى منازل الأسر الثرية الراغبة في شرائهن أو اقتنائهن. ويعكس هذا الدور طبيعة التنظيم الذي عرفته أسواق الرقيق في الأندلس، ووجود فئات متخصصة في الإشراف على عمليات البيع وإعداد الجواري قبل عرضهن².

استطاعت بعض الجواري، بفضل ما امتلكن من ذكاء وجمال ومهارات متنوعة، أن يتجاوزن دورهن التقليدي بوصفهن خادמות، لينتقلن إلى مكانة أكثر تأثيرًا ونفوذًا داخل المجتمع، ولا سيما في أوساط القصور وبيوت كبار رجال الدولة³.

كما أدّت بعض الجواري أدوارًا بارزة في القضايا السياسية، ولا سيما من خلال مشاركتهن في بعض المؤامرات والدسائس داخل القصور، إذ ارتبطت بعضهن بمحاولات بعض الأمراء الوصول إلى الحكم، أو شاركن في مساعي إبعاد بعض الوزراء وتقريب آخرين من مراكز النفوذ. وقد جعل هذا الحضور السياسي نفوذ بعض الجواري ذا جانبيين؛ فمن جهة، أسهم في مشاركتهن في الحياة السياسية وتأثيرهن في مجريات الأحداث، ومن جهة أخرى، ارتبط في بعض الحالات بإثارة الفتن والصراعات الداخلية داخل القصور⁴.

¹ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 34

² خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 846

³ ابن الاثير، المصدر السابق، ج6، ص 220

⁴ ابن الاثير، المصدر السابق، ج6، ص 231

الدور الثقافي والعلمي.

تميزت الجواري في مختلف جوانب الحياة الثقافية، بشقيها المادي والمعنوي، وبرزن في عدد من المجالات في آن واحد. فقد تذكر المصادر جارية لابن الكتاني، اشتهرت بتعدد مواهبها، إذ أتقنت اللغة والأدب والخط والكتابة والغناء والرقص والطب وعلم التشريح واللعب بالسيوف، إلى جانب مهارات وعلوم أخرى. وقد بلغت من المكانة أن عجز عدد من الأمراء عن شرائها بسبب ارتفاع ثمنها، إلى أن تمكن عبد الملك بن غزان من شرائها بثلاثة آلاف دينار. وتؤكد المصادر كذلك أن عددًا من الجواري بلغن مرتبة متقدمة من الإبداع والمعرفة في مجالات متعددة، منها الشعر واللغة والعروض والحساب والمنطق والطب والفكاهة وغيرها، وهو ما يتضح من الألقاب التي أطلقها المؤرخون على بعضهن، مثل الأدبية والشاعرة والعالمة والبصيرة والمجيدة. ومع ذلك، فإن ما حظي باهتمام المؤرخين ووصلت إلينا أخباره اقتصر على بعض هذه المجالات، وفي مقدمتها التعليم والغناء والشعر والكتابة ونسخ المصاحف والكتب، إلى جانب إسهاماتهن في مختلف مظاهر الحياة الأدبية والثقافية¹.

ازدادت قرطبة، مثل الأندلس، ألقًا وازدهارًا في عهد عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، الذي تحولت في عهده إلى مركز حضاري فريد من نوعه، تميز بتطور عمراني وعلمي بارز. وإلى جانب ازدهار عمرانها، تألفت قرطبة في المجالات العلمية والأدبية والفنية، حتى تمكنت من منافسة بغداد، عاصمة الخلافة العباسية. وكان قرطبة وبغداد قد اقتسما الريادة الحضارية في العالم الإسلامي المترامي الأطراف، الممتد من البوابة الغربية لأوروبا إلى حدود الصين شرقًا².

لم يكن نفوذ الجواري محصورًا في الجانب الأسري، بل امتد أيضًا إلى المجال الثقافي والأدبي، فقد أسهمت بعضهن في إثراء الحراك الأدبي والفني داخل القصور، واشتهرت العديد منهن بإتقان فنون الشعر والغناء والموسيقى، كما شاركن في إحياء المجالس الثقافية والأدبية، مما جعلهن جزءًا من الحياة الثقافية في قصور الخلفاء والأمراء³.

وقد أشار الفقيه والأديب الأندلسي ابن حزم الأندلسي إلى تنوع المهن التي مارسها النساء والجواري في المجتمع الأندلسي، مما يعكس مكانتهن ودورهن في مختلف مجالات الحياة. فقد ذكر أن منهن الطبيبة، والحجامة، والعارفة، والدلالة، ومصففة الشعر، والنائحة، والمغنية، والقابلة، والمعلمة، إلى جانب من احترفن الغزل

¹ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 213

² سوزي حمود، المرجع السابق، ص 86

³ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ج. 8، ص. 504.

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

والنسيج وغيرهما من الحرف والصناعات. ويكشف هذا التنوع المهني عن إسهام النساء والجواري في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وعدم اقتصار دورهن على الأعمال المنزلية أو خدمة القصور، بل امتد ليشمل مهناً أسهمت في تلبية احتياجات المجتمع الأندلسي¹.

وإلى جانب الحرف والمهن المختلفة التي مارستها الجواري في الأندلس، أسهم بعضهن في المجال التعليمي، إذ اشتغلن بالتدريس ونقل العلوم والمعارف، كلٌّ بحسب تخصصها ومكانتها العلمية. وقد عرفت الأندلس عددًا من النساء اللاتي برزن في تعليم الأدب والعلوم، مما يعكس إسهام المرأة في الحياة الثقافية والعلمية.

ومن بين هؤلاء مريم بنت أبي يعقوب الشبلي، التي اشتهرت بالأدب والشعر، وكانت تُدرّس الأدب للنساء.

كما برزت راضية، وهي جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، التي عُرفت بعلمها وفضلها، ويذكر بعض المؤرخين أنها أدت فريضة الحج رفقة زوجها، واشتهرت بما تمتعت به من مكانة داخل البلاط الأموي². **تَطْبِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾³.**

وتذكر المصادر أن راضية سافرت مع زوجها لأداء فريضة الحج⁵، فمرًا ببلاد الشام ومصر، حيث تلقت العلم على أيدي عدد من كبار الفقهاء. وبعد عودتها إلى الأندلس، اشتغلت بتدريس الفقه ونشره بين النساء، فأسهمت في الحركة العلمية التي شهدتها الأندلس خلال العصر الأموي.

كما برزت أم الحسن، شقيقة القاضي سعيد بن منذر البلوطي، التي اشتهرت بعلمها في الفقه، وكانت تُعلّم النساء أمور دينهن، مما أكسبها مكانة علمية مرموقة. وقد ارتفعت منزلة بعض النساء الأندلسيات بفضل تفوقهن في عدد من العلوم، حتى أصبحن مرجعًا في تخصصاتهن.

ولم يقتصر نشاط النساء على التعليم، بل امتد إلى مجال الطب، حيث برعت بعضهن في ممارسته، ومن أشهرهن أم عمر، ابنة الطبيب أبي بكر بن زهر، التي عُرفت بمهارتها في معالجة النساء، حتى إن خبرتها الطبية دفعت بعض الرجال إلى

¹ ابن الحزم الأندلسي، المصدر السابق، ص 46

² خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 847

³ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 180

⁴ سورة الحج، الآية، 27

⁵ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 846

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

استشارتها في المسائل الطبية. ويعكس ذلك المكانة العلمية التي بلغتها بعض النساء في الأندلس، ودورهن الفاعل في خدمة المجتمع.

وفي المجال الأدبي، برزت مرجان، جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وأم ولده الحكم المستنصر، وقد عُرفت بأدبها ولطافة مقصدها، غير أن المؤرخين لم يذكروا لها مؤلفاً مستقلاً، باستثناء أبيات قليلة نسبت إليها وغنتها لتغنيظ زوجها الناصر، فقالت:

يا ليلة لو أنما ثبا لي أو تهترى هزيتما بكل ما أطلبه من الفنى.

وربما تعرض جانب كبير من أدبها وشعرها للضياع، شأنه في ذلك شأن جانب من التراث الأدبي الأندلسي الذي لم يصل إلينا، أو لعل ما بقي منه لا يزال ينتظر من يكشف عنه. وقد ذكر ابن الأبار أنها كانت أديبة، وعدّها من الجواري المتأديات.

كما برزت في المجال الأدبي لبنى، جارية الحكم المستنصر، التي كانت ضمن طائفة من الجواري المعروفات بالأدب والعلم، وتميزت بكونها شاعرة وأديبة، إلى جانب إمامها بالنحو والحساب والعروض، مما يدل على المستوى العلمي والثقافي الذي بلغته بعض الجواري في عصر الخلافة الأموية بالأندلس¹.

وبذلك يتضح أن نشاط الجواري والنساء في الأندلس لم يقتصر على الأعمال المنزلية أو خدمة القصور، وإنما امتد إلى ميادين التعليم والفقه والطب وغيرها من المجالات التي أسهمت في الحياة العامة، الأمر الذي يعكس تنوع أدوارهن وأهمية إسهاماتهن في المجتمع الأندلسي².

امتهنت بعض الجواري في الأندلس مهنة الطب، ولاسيما في مجال علاج النساء، حيث اكتسبن خبرة عملية في تشخيص الأمراض ووصف العلاجات وتحضير الأدوية المركبة من الأعشاب والنباتات الطبية. وقد كان لهن دور بارز في تقديم الرعاية الصحية داخل القصور وفي أوساط الأسر الثرية، إذ كن يتولين علاج النساء اللاتي تعذر عليهن مراجعة الأطباء الرجال. كما عُرف عدد منهن بمهارتهن في إعداد العقاقير الطبية واستخدام النباتات العلاجية، إلى جانب توظيفها في أغراض التجميل والعناية بالبشرة.

ويذكر ابن أبي أصيبعة في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء أن أخت الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر وابنتها كانتا من الماهرات في مهنة الطب،

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 57

² خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 846

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

وخاصة في علاج النساء، حتى إنهما كانتا تترددان على قصور الأمراء والحكام لمعالجة نسائهم، وهو ما يعكس المكانة التي حظيت بها بعض النساء العاملات في هذه المهنة، ودورهن في تقديم الخدمات الطبية داخل المجتمع الأندلسي¹.

ومن النساء اللاتي اشتهرن بممارسة مهنة الطب في الأندلس أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجي، التي عُرفت بمهارتها الطبية وسعة معارفها، إلى جانب إتقانها صناعة الأدوية وتحضير العقاقير. وقد أشار ابن الخطيب إلى مكانتها في هذا المجال، مبيناً أن والدها تولى تعليمها أصول الطب، حتى تمكنت من فهم قواعده والإلمام بأسبابه وأعراض الأمراض وطرق علاجها، الأمر الذي أهلها لمزاولة هذه المهنة بكفاءة، وجعلها من النساء اللاتي برزن في مجال الرعاية الطبية بالأندلس².

كما برزت بعض الجواري في مجال العلوم الدينية، إذ أسهمن في تعلم القرآن الكريم وتفسيره، ونسخ المصاحف والكتب، واشتهرن بجمال الخط ودقته وإتقان فنون الكتابة، مما جعلهن يشاركن في الحياة العلمية والثقافية بالأندلس.

وفي مجال الفقه، حفظت كتب التراجم والسير أسماء عدد من النساء اللاتي اشتهرن بالعلم والتدريس، وكان لهن إسهام في تعليم الفقه ونشره بين النساء. ومن أبرزهن راضية، جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، التي عُرفت بعلمها وأدبها، حتى لُقبت بـ**«نجمة الفقهاء»** في بعض الروايات. كما عرفت برواية الأخبار والآثار، وأقامت مدة في قصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، ثم انتقلت إلى خدمة ابنه الخليفة الحكم المستنصر بالله، الذي أولاه عناية خاصة وأعجب بعلمها وثقافتها.

وتذكر بعض المصادر أن الحكم المستنصر بالله أعتق راضية ثم تزوجها سنة 353هـ، وهو ما يعكس المكانة التي بلغت داخل البلاط الأموي، ودورها في الحياة العلمية والثقافية إلى جانب مكانتها في القصر³.

كما لم يخفى على المرأة الأندلسية الاندماج في المجال الأدبي حيث تشير المصادر التاريخية إلى بروز عدد من النساء الأندلسيات في ميادين الأدب، حيث عُرف منهن الشاعرات والكاتبات والأديبات والناقدات، وهو ما يعكس المستوى الثقافي والعلمي الذي بلغته المرأة في المجتمع الأندلسي. ولم يكن من الممكن أن تحقق المرأة هذه المكانة الأدبية المرموقة أو تنال ثقة معاصريها في آرائها وأحكامها الأدبية واللغوية إلا بعد امتلاكها تكويناً علمياً متيناً، قائماً على الإلمام

¹ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ابن أبي أصيبعة)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 70.

² خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 852

³ نفسه، ص 849

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

بعلوم اللغة العربية وآدابها، من نحو وصرف وبلاغة وعروض. وقد أسهم هذا الرصيد المعرفي في صقل مواهبها الأدبية، فتميز شعرها ونثرها بالقوة والفصاحة، ومكنها من إثبات حضورها في الحياة الثقافية، حتى غدت بعض الأدبيات يحظين بالتقدير والمكانة بين العلماء والأدباء¹.

وقد ظهرت فئة جديدة من الجواري اللاتي امتهنَّ الكتابة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، ثم برزن بصورة أوضح في عهد ابنه الحكم المستنصر. ومن أبرزهن الجارية لبنى، التي اتخذها الحكم المستنصر كاتبةً له وموقِّعةً عنه، وكان اختياره لها موفقاً؛ إذ لم تكن لبنى معروفة بذكائها وفهمها وحسن خطها فحسب، بل كانت أيضاً شاعرةً وأديبةً، وملمّةً بعلوم النحو والحساب والعروض. ويبدو أن هذه المكانة العلمية والأدبية التي تمتعت بها أهلتها لتولي مهام الكتابة في قصر الخلافة، وجعلتها من أبرز الجواري اللاتي تجاوزن دورهن حدود الخدمة إلى المشاركة في العمل الثقافي والإداري داخل البلاط الأموي بالأندلس².

التعليم:

كان للثقافة الموسوعية التي حظيت بها الجواري أبلغ الأثر في استقدامهن لتعليم أبناء الأمراء والخلفاء وكبار رجال الدولة وذوي العلم. ولم تنقل لنا المصادر صورة أكثر احتفاءً وإجلالاً وتقديرًا للجارية من تلك التي ارتبطت بها بوصفها معلّمة. كما كن يحظين بمكافآت سخية من مستخدميهن، وكلما اتسع علم الجارية وكثر حفظها، ازداد الطلب عليها وارتفع شأنها بين الخاصة والعامة. وقد أشار ابن حزم في كتابه طوق الحمامة إلى عدد من القصص التي تؤكد مكانة الجواري في مجال التعليم، ولا سيما أنه تتلمذ هو نفسه على أيدي بعض الجواري، فنهل من علومهن في القرآن والشرع والخط³.

الكتابة:

يُقصد بالكاتبة الجارية التي تعمل في ديوان الرسائل، وهي مهنة لا يتولاها إلا من امتلك ناصية البلاغة، وبلغ شأنًا رفيعًا من الثقافة والحنكة السياسية. ولم تُشر المصادر المتاحة إلى امرأة مشرقية، حرة كانت أم جارية، استطاعت الوصول إلى هذا المنصب الحساس، في حين تزخر الأندلس بعدة شواهد على جوارٍ بلغن هذه المكانة، من أمثال لبنى، التي كانت كاتبةً خاصة للخليفة عبد الرحمن الناصر، ثم لابنه الحكم المستنصر من بعده، ومزنة، كاتبة الناصر كذلك، ونظام، كاتبة هشام المؤيد، التي عُرفت بحسن تحرير الرسائل وتجويدها، وكان لرسائلها أثر في

¹ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 852

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 61

³ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 213 - 214

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

إصلاح ذات البين بين الخليفة وخصومه، إلى جانب غيرهن من الجواري اللواتي برزن في مجال الكتابة والإنشاء¹.

برزت الجواري الكاتبات في الأندلس، ولا سيما خلال عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، حيث حظيت بعضهن بمكانة متميزة بفضل ما امتلكن من مهارات في الكتابة والمعرفة. ومن أشهرهن زمرد، التي وُصفت بأنها كاتبة حاذقة، عُرفت بالفهم والنبيل، وكانت من كاتبات المستنصر، واشتهرت بذكائها وحسن خطها، كما كانت متمكنة من العلوم الحسابية والعروض. ونذكر كذلك نظام، التي عملت كاتبة في قصر هشام المؤيد بالله، وموزة، التي عُرفت بمهارتها في الكتابة، وقد استكتبتها الخليفة الناصر. كما برزت قلم، جارية عبد الرحمن بن الحكم، التي جمعت بين فنون متعددة وأنواع مختلفة من المعرفة، إلى جانب عدد من الجواري اللواتي عُرفن بجودة الكتابة وتمتعن بمكانة متميزة لدى الحكام. وليس هذا الأمر بمستغرب في المجتمع الأندلسي، الذي عُرف بتقديره للعلم وأهله وتشجيعه على تحصيل المعرفة والاشتغال بها².

طب النساء والولادة

مارست الجواري مهنة الداية أو القابلة، واشتهرت منهن من كنَّ من بلاد الروم، وتميَّزن ببراعة في متابعة الحمل والجنين ومعرفة جنسه، وإن كانت هذه المعرفة تصدق في بعض الحالات وتخطئ في أخرى. وقد أدَّت القابلات من الجواري دورًا صحيًا مهمًا في المجتمع، ولا سيما في عصر كانت فيه الرعاية الصحية محدودة، إذ أسهمن في توليد النساء ورعاية الحوامل، وكان لهن دور قريب من دور الطبيب في هذا المجال.

ولم تكن القابلات على درجة واحدة من المهارة والخبرة؛ فكانت القابلة المتمرسنة والمتخصصة تُستدعى لتوليد نساء الخلفاء وكبار رجال الدولة، بينما كانت القابلات الأقل شهرة يمارسن المهنة بين عامة الناس. وكان من أساليب التدريب على هذه المهنة أن تصاحب المتدربة قابلةً متمرسنة، فتتعلم منها طرق التوليد وأسرار طب النساء، إلى أن تكتسب الخبرة اللازمة لممارسة المهنة بصورة مستقلة.

وقد كان إتقان مهنة القابلة من أسباب تحقيق الثراء، إذ كانت القابلات يتقاضين أجورًا مقابل خدماتهن، وإن تفاوتت هذه الأجور تبعًا لمكانة الأسرة وحالتها المادية ومكانة المولود. كما اجتذبت هذه المهنة عددًا من الجواري اللاتي لم يقتصر تكوينهن على المعرفة الطبية، بل عُرفت بعضهن بالاشتغال بالأدب والفنون،

¹ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 220

² نؤارة شرقي، المرجع السابق، ص 126 - 127

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

إلى جانب معرفتهن بالطب وعلم الطبيعة والتشريح، وهو ما يدل على اتساع معارف بعض الجواري وتنوع أدوارهن المهنية والعلمية¹.

الشعر:

ومن بين الجواري اللواتي كان لهن اهتمام بالشعر وإسهام في نقله وتداوله بالأندلس، نجد الجارية رَداح، جارية عبد الرحمن المستظهر، الذي يُعد من أواخر خلفاء بني أمية في الأندلس. وقد اختارت رداح شعراً لشاعر جاهلي هو قيس بن الخطيم، وأسهمت من خلال غنائها في إبقاء هذا اللون من الشعر الجاهلي حاضراً في البيئة الأندلسية. ومن الأبيات التي أنشدتها:

أَتَعْرِفُ رَسْمَكَ بِالطَّرَادِ الْمَكَامِبِ | لِعَفْرَةٍ وَخَفِ تَحِيَّزُ مَوْثُومِ الرَّاحِبِ

حِيارُ التَّيِّ حَادِيَةٍ وَتَحْنُ مَلَامِنَا | تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّحَائِبِ

تَنُودُ لَنَا عَالِمْ خَفِي حَلَفِ مَلَامِنَا | بِحَا حَاجِبَةٍ مِنَّمَا وَطَنِي بِحَاجِبِ

وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ذَلَالًا مَلَامِنَا | وَتَحْفِي بِهَا مَحْذَرَاءَ حَاكِ حَوَائِبِ².

ومن بين الأشعار المشرقية التي تغنّت بها الجواري في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، نجد أشعار ابن الرومي وقصائده، التي عُدت من النماذج الشعرية الوافدة من المشرق إلى الأندلس. وقد أسند أداء بعض هذه الأشعار إلى عدد من جواري الحكم بن هشام، منهن مهجة وبهجة وعزيز، حيث كنّ يتغنّين بأشعاره ويؤدينها في مجالس الغناء. ومن بين الأبيات التي تغنّين بها:

تأمل العجيب عجب. وليس في الحق ريب

فكل خير وهر دون العواقب عجب

وإنما كل شيء هببة ثم هب

لا تحقرن هبيباً كما جر نعتاً هبيباً³.

¹ شهلة برهان، المرجع السابق، ص 213 - 214

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 216

³ نفسه، ص 216

الغناء:

حظي الغناء باهتمام اجتماعي واسع، باعتباره واحداً من أبرز الفنون التي احتلت مكانة مهمة في الحياة الثقافية والترفيهية. وقد أسهمت الجواري في هذا المجال إسهاماً واضحاً، إذ لم يقتصر دورهن على الترفيه والتسلية، بل شاركن أيضاً في نقل بعض مظاهر الثقافة والفنون وتطويرها. ويُعد مجال الغناء والموسيقى من أبرز المجالات التي برزت فيها الجواري، حيث أبدعن فيه وطوّرن أساليبه، وأصبحت مجالس الأمراء والخلفاء والأغنياء، بل وحتى بعض مجالس عامة الناس، من أبرز الفضاءات التي ظهر فيها حضور الجواري المغنيات¹.

وقد حظين المغنيات بنصيب وافر من اهتمام أهل الأندلس، ولا سيما في عصر الخلافة الأموية، إذ برزت العديد من الجواري الوافدات اللواتي اشتهرن بإجادة الغناء والموسيقى. ومن أشهر المغنيات الوافدات على الأندلس في عصر الخلافة الجارية، أنس القلوب، جارية المنصور بن أبي عامر، إلى جانب غيرها من الجواري اللواتي ذاع صيتهن وأسهمن في ازدهار الحياة الفنية والغنائية في الأندلس².

وقد امتلك الحكم بن هشام عدداً من الجواري المغنيات، فكنّ يُسمعه ألواناً مختلفة من الشعر، وينشدن له ما يوافق ذوقه ورغباته، كما يؤدين الألحان التي يقترحها من الأشعار. أما عبد الرحمن بن الحكم، فقد عُرف باهتمامه بالغناء، فأقام مجالس له دون حرج، وأنشأ دار المدنيات، كما شجّع زرياب على القدوم إلى الأندلس، مما أسهم في ازدهار الحياة الفنية والموسيقية فيها. وبوجه عام، كان معظم أمراء البيت الأموي رعاةً للفن والغناء، باستثناء الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، الذي لم يكن ممن انشغلوا باللهو واللذات، ولم يُعرف عنه الاشتغال بشيء من ذلك أثناء خلافته ولا قبلها³.

¹ هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 25

² فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 214

³ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 203

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

وفي أيام المغيرة بن الحكم بن هشام اشتهرت جارية عُرفت بالعراقية¹، وقد تميزت ببراعتها في الغناء ومعرفتها الواسعة بفنونه وأصول الموسيقى. ويُرجَّح أنها تتلمذت على سليم، مولى المغيرة ومغنيه، فأخذت عنه الغناء العراقي وأتقنته. وقد أشار ابن فضل الله العمري إلى بروزها في هذا المجال، فذكر أنها كانت «تطرح الغناء حتى برعت»، وتمكنت من جمع ألوان الغناء العراقي وإتقانها².

ويروى أن عزيز، جارية الحكم بن هشام، كانت تلحن أشعارًا من نظمها، ومن ذلك قولها: «قد تقضى النهار إلا بقايا من شعاع المخلوق الأصيل». فلما سمع الحكم بن هشام شعرها، أعجب به وأمرها بتلحينه، فوضعت له لحناً أجازها عليه بالمال والمثل³.

وقد استمر هذا الاهتمام بالمغنيات من الجواري في الأندلس حتى أواخر عصر ملوك الطوائف، ومن أبرزهم المعتمد بن عباد، الذي عُرف بتشجيعه للجواري المغنيات واهتمامه بفنون الغناء والشعر. فقد كان يختار عددًا منهن، ويقترح عليهن الأشعار والمقطوعات لتلحينها وغنائها، ومن ذلك ما نُسب إليه من اقتراح مقطوعة على جاريته شعثة. كما تذكر الروايات أن الحكم بن هشام كان يقترح بدوره عددًا من المقطوعات على جاريته مهجة، حيث نُسب إليه أربع مقطوعات في هذا السياق. ويكشف ذلك عن دور مهم اضطلعت به الجواري في الحياة الفنية بالأندلس، تمثل في نشر الشعر وتداوله، ولا سيما الأشعار الوافدة من المشرق، فضلًا عن تلحينها وأدائها غنائيًا. وقد ازدهر هذا النشاط بصورة خاصة في بلاط الأمير عبد الرحمن بن الحكم وابنه محمد، ثم استمر حضور النتنف والمقطوعات الشعرية المغناة في بلاطات لاحقة، وصولًا إلى عصر عبد الرحمن المستظهر والمعتمد بن عباد⁴.

¹ العراق: يُعدّ العراق من أبرز الأقاليم التي حظيت بمكانة جغرافية وحضارية مهمة، وقد عُرف بهذا الاسم لوقوعه على شاطئ نهر دجلة والفرات. ويشير الخليل إلى أن لفظ «العراق» يُطلق لغةً على شاطئ البحر، وقد سُمّي العراق بذلك لوقوعه على ضفاف دجلة والفرات. وامتد إقليم العراق، وفق ما ورد في المصادر الجغرافية، من هيت غربًا إلى السند والصين شرقًا، ومن الري وخراسان شمالًا إلى بلاد الديلم، مما يدل على اتساع المجال الجغرافي المنسوب إليه. وقد احتل العراق موقعًا متميزًا في العالم القديم، إذ وُصف بأنه وسط الدنيا ومستقر الممالك في الجاهلية والإسلام، كما عُدَّ من أخصب وأهم أقاليم العالم. وتبرز أهمية العراق كذلك في وجود نهر دجلة والفرات، المعروفين بالرافدين، إلى جانب ما ضمّه من مدن وقواعد عظيمة ومراكز حضارية ذات شأن، الأمر الذي جعله من أهم المراكز السياسية والاقتصادية والحضارية في العالم الإسلامي، أنظر: ابن القوطية، محمد بن عمر القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، شرح وتحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1415 هـ/1994 م، ص 230.

² جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 208.

³ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص 79.

⁴ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 215.

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

لم يقتصر أثر الجواري في المجتمع الأندلسي على الجوانب الاجتماعية والسياسية والفنية فحسب، بل امتد أيضًا إلى الحياة الثقافية والحضارية، إذ أسهم، باعتبارهن من العناصر الوافدة إلى المجتمع الأندلسي، في إثراء ثقافته وتنوعها. وقد قدمت هؤلاء الجواري من بيئات مختلفة، تنوعت بين المشرق والبيئات البيزنطية والرومية، وحملن معهن أسماءهن ولغاتهم وثقافتهن وتقاليدهن، الأمر الذي ترك أثرًا واضحًا في المجتمع الأندلسي.

وقد ظهر هذا التأثير في انتشار بعض أسمائهن، إذ أطلقت أسماء عدد منهن على أبنائهن، كما خلّدت أسماء بعض الجواري في أسماء المساجد والمدن والجزر. ومن ذلك الجارية الزهراء التي يُذكر أنها طلبت من الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يطلق اسمها على المدينة التي أنشأها، وكذلك جزيرة أم حكيم التي يُنسب اسمها إلى جارية طارق بن زياد، التي خلفها في تلك المنطقة، فأصبح اسمها مرتبطًا بالمكان. ويكشف ذلك عن مدى حضور أسماء الجواري في الثقافة الأندلسية، بدءًا من أسماء الأبناء ووصولًا إلى أسماء المدن والجزر.

كما أسهمت الجواري، ولا سيما ذوات الأصول الرومية والبيزنطية، في نقل لغاتهن وثقافتهن إلى أبنائهن، إذ علّمنهم لغاتهن الأصلية إلى جانب اللغة العربية، مما أتاح لبعض أبناء الخلفاء والأمراء معرفة اللغة اللاتينية أو الرومية، فضلًا عن العربية. وبذلك أسهمن في عملية التفاعل الثقافي واللغوي داخل المجتمع الأندلسي.

وكان للجواري كذلك أثر بارز في الحياة الشعرية بالأندلس، إذ شكّلن مصدر إلهام للشعراء ومحفزًا لهم على نظم الشعر في وصف جمالهن ومحاسنهن ومكانتهن. وتشير المصادر إلى أن شعراء الأندلس نظموا في الجواري عددًا كبيرًا من الأشعار، بلغ نحو 763 بيتًا، وثلاثة موشحات، وأرجوزة، وعددًا من الأزجال. ولم يقتصر حضورهن في الشعر على كونهن موضوعًا له، بل امتد إلى الإبداع الشعري ذاته، إذ استطاعت بعض الجواري نظم الشعر في موضوعات متعددة، ونُسب إليهن نحو 80 بيتًا شعريًا، فضلًا عن مشاركتهن في نظم الموشحات وغيرها من الأغراض الأدبية.

كما أسهمت الجواري في نقل مظاهر الثقافة المشرقية إلى الأندلس، ولا سيما في مجال الشعر والغناء والموسيقى، فقد نقلن معهن الأشعار والألحان وأساليب الأداء التي عرفنها في المشرق، ثم عملن على نشرها في الأوساط الأندلسية، وأسهمن بذلك في تطور الحركة الغنائية والموسيقية وازدهارها. ومن ثم، يمكن القول إن الجواري لم يكن مجرد عنصر اجتماعي داخل القصور الأندلسية، بل كنّ

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

أيضاً وسيلة من وسائل التلاحق الثقافي، أسهم في نقل اللغات والأدب والموسيقى والفنون، وشارك بصورة واضحة في تشكيل جانب من جوانب الثقافة الأندلسية¹.

ولم يقتصر شعر الجواري في الأندلس على الغزل فحسب، بل تعددت أغراضه وتنوّعت موضوعاته؛ فلم يقتصر تعبيرهن عن مشاعرهن تجاه المحبوب على وصف محاسنه المادية وإبراز عواطفهن نحوه، بل اتجه بعضهن إلى مدح أسيادهن والإشادة بخصالهم النبيلة، فكنّ يتغنين بما اتصفوا به من كرم وجود، وشجاعة، وعلو شأن، ومكانة رفيعة، وذلك في أبيات شعرية اتسمت بجمال التعبير وصدق العاطفة، مما يعكس تنوّع التجربة الشعرية لدى الجواري الأندلسيات².

ومن الواضح أن للجواري أيضاً إسهاماً غير مباشر في المجالين الأدبي والفني، تمثل في دورهن في الإسهام في ازدهار الحياة الثقافية في الغرب الإسلامي. ومن أبرز مظاهر ذلك اضطلاعهن بمهمة تربية أبناء الوزراء والسلاطين وتعليمهم، إذ كان بعض الحكام يستقدمون الجواري المتعلّقات للإشراف على تربية أبنائهم وبناتهم وتعليمهم وتنقيفهم، ومن ذلك ما عُرف عن ابن حزم الأندلسي الذي نشأ في كنف الجواري، كما أشار إلى ذلك بنفسه. وإلى جانب دورهن في التربية والتعليم، أسهم عدد من الجواري في إنشاء المساجد والجوامع التي كانت من أهم مراكز العلم والثقافة، ومنهن الجارية فخر التي بنت مسجداً بقرطبة، والجارية شعثة التي كان لها مسجد بربض الريافة من قرطبة. ولم يقتصر إسهامهن على بناء المساجد، بل قامت بعض الجواري أيضاً بوقف الكتب والمصاحف على المساجد، بما أسهم في دعم الحركة العلمية والثقافية وتشجيع نشر المعرفة³.

ثالثاً: المقارنة بين أدوار الجواري في عصر الإمارة وعصر الخلافة.

ويمكن تقسيم نظام الحكم والإدارة في الدولة الأموية بالأندلس إلى مرحلتين أساسيتين. فقد مرّ الحكم الأموي هناك بمرحلة :

أ/ الإمارة الأموية 138هـ / 756م:

التي امتدت من سنة 138هـ / 756م إلى سنة 316هـ / 929م⁴. وسُمّيت هذه المرحلة بهذا الاسم لأن الحاكم كان يُعرف بلقب "الأمير"، وكان أحياناً يصف نفسه بـ "ابن الخلفاء" في إشارة إلى انتمائه للأمويين الذين سقطت دولتهم في المشرق سنة 132هـ / 749م.

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 66-67

² نفسه، ص 186

³ نواره شرقي، المرجع السابق، ص 129

⁴ مروة محمد رشاد محمد، بنسليه في ظل الإسلام، مجلة الدراسات لعربية، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا، ص 2348

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

وقد بدأت مرحلة الإمارة مع عبد الرحمن بن معاوية، وانتهت بتولي عبد الرحمن بن محمد، المعروف بعبد الرحمن الثالث والملقب بالناصر لدين الله، الذي أعلن قيام الخلافة لاحقاً¹. وفي هذه المرحلة كانت الأندلس إمارة مستقلة سياسياً عن الخلافة العباسية في المشرق². تعاقب على حكم هذه الإمارة ثمانية أمراء، بدأوا بعبد الرحمن بن معاوية، المذكور سلفاً وهو مؤسس الدولة وباني أركانها، ثم خلفه ابنه هشام بن عبد الرحمن، تلاه الحكم بن هشام، ثم عبد الرحمن الأوسط، فمحمد بن عبد الرحمن، ثم المنذر بن محمد، وعبد الله بن محمد، وأخيراً عبد الرحمن الناصر الذي أعلن قيام الخلافة الأموية في الأندلس والذي سنتطرق له فيما يلي³.

لم يعد دور الجواري في المجتمع الإسلامي مقتصرًا على الترفيهية والترفيه، أو على سائر المهن والوظائف التي اعتدت تأديتها، من تدبير شؤون المنزل والقيام بأعبائه، إلى الطلب والغناء، بل أصبح يؤدّي أدواراً اجتماعية وسياسية بالغة الأهمية، أسهمت بصورة فاعلة في التأثير في مقدرات المجتمع وتوجيه مساراته في مختلف مناحي الحياة⁴.

يُعدّ الجواري جزءاً من النسيج الاجتماعي للمجتمع العربي، بل إن وجودهن ارتبط بجانب من تاريخ الإنسانية، إذ عرفت مختلف الحضارات والشعوب نظام الاسترقاق وامتلكت الإماء والجواري. غير أن دور الجواري في التاريخ العربي الإسلامي لم يقتصر على الجانب الخدمي أو المتعة، بل تجاوز ذلك إلى أدوار متعددة شملت الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وأسهمن في الحياة العامة بطرق مختلفة. كما استطاعت بعضهن، لما امتلكنه من علم وأدب ومهارات وقدرات خاصة، أن يحظين بمكانة ونفوذ واضحين، وأن يمارسن قدرًا من التأثير في محيطهن الاجتماعي والسياسي⁵.

لم تعش المرأة الأندلسية في عصر الإمارة أسيرة الجهل والامية، بل أتاحت لها فرص متعددة لاكتساب العلم والمعرفة، الأمر الذي أسهم في الارتقاء بمكانتها داخل المجتمع الأندلسي. فقد مثّل التعليم وسيلة أساسية لنيل الاحترام وإثبات الكفاءة، وهو ما يفسر انتشار التعلم بين عدد كبير من النساء وظهور نخبة من الأدبيات والشاعرات اللواتي برزن في مختلف مجالات الثقافة. ويعود ذلك إلى اهتمام الخلفاء الأمويين في الأندلس بالعلم وأهله، إذ أولوا العلماء والأدباء والشعراء مكانة رفيعة، وتنافسوا في تقريبهم إلى مجالسهم والاستفادة من آرائهم، حتى غدت رعاية العلم

¹ عبد الجليل بن عبد القادر ملاح، مقال الإمارة الأموية في الأندلس وتحولها من المذهب

الأوزاعي إلى المذهب المالكي، جامعة إدرا، ص 54

² ابن القوطية، المصدر السابق، ص 50-54

³ عبد المجيد النعني، المرجع السابق، ص 148-149

⁴ شهلة برهان، المرجع السابق، ص. 206.

⁵ هنادي زعل الهنداوي، المرجع السابق، ص 20

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

والعلماء إحدى السمات البارزة للحياة الفكرية في الأندلس، وهو ما انعكس إيجاباً على تعليم المرأة وإتاحة الفرصة لها للمشاركة في الحركة العلمية والأدبية¹.

ب/ الخلافة الأموية 316هـ / 929م:

ويمكن القول ان هذا العصر يبدأ منذ تلقب عبد الرحمان بن محمد الناصر لدين الله سنة 316م².

تُعدّ مرحلة الخلافة³ المرحلة الثانية من حكم الدولة الأموية في الأندلس، وقد امتدت من سنة 316هـ / 929م إلى سنة 422هـ / 1031م. ومع بداية هذا العهد، تغيّر لقب الحاكم من "الأمير" إلى "ال خليفة"، وأصبح اسمه يُذكر على المنابر، ويُدوّن في المراسلات والوثائق الرسمية، مما يعكس استقلال الحكم الأموي في الأندلس وقوته.

ويُعدّ عبد الرحمان الناصر بن محمد أول من أعلن نفسه خليفة في الأندلس سنة 316هـ / 929م. وقد استمر هذا العهد إلى غاية سقوط الدولة الأموية، وذلك في زمن هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، المعروف بلقب "المعتد بالله"، بين سنتي 418هـ و422هـ / 1027م و1031م⁴.

وعليه، إذا كان عبد الرحمن الأول الداخل مؤسس الإمارة الأموية في الأندلس، فإن عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله يُعدّ المؤسس الثاني للدولة الأموية، إذ نقلها من مرحلة الإمارة إلى مرحلة الخلافة، وجعل من قرطبة مركزاً حضارياً فريداً ازدهر فيه العمران والعلم والأدب والفن، حتى نافست بغداد، عاصمة الخلافة العباسية⁵.

ومع انتقال نظام الحكم من الإمارة إلى الخلافة، شهد دور الجواري تحولاً ملحوظاً، فلم يعد مقتصرًا على الخدمة والرعاية المنزلية، أو على الغناء والترفيه، بل تجاوز ذلك إلى مجالات العلم والأدب والإدارة والسياسة. فقد برزت بينهن

¹ خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 852

² ابي مروان ابن حيان القرطبي، المقتبس في اخبار بلد الاندلس ، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، دت ، ص 241

³ الخلافة: هي نظام حكم إسلامي يقوم على نيابة المسلمين في إدارة شؤون الدولة والدين بعد وفاة النبي ﷺ، حيث يتولى الخليفة مسؤولية تطبيق الشريعة الإسلامية وحفظ الأمن وتنظيم شؤون الأمة. وقد بدأت الخلافة الراشدة سنة 11هـ بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم تطورت إلى أنظمة حكم مختلفة مثل الخلافة الأموية والعباسية، مع اختلاف في طريقة اختيار الخلفاء وإدارة الدولة. انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الإسلامية (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط10، 1996م، ص 25

⁴ لسان الدين الخطيب، تاريخ اسبانيا السلامية من لفتح الى سقوط الخلافة القرطبية ، ترجمة - علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، تحقيق : ليفي بروفنسال، المجلد 2، 2002، ص 8

⁵ سوزي حمود، المرجع السابق، ص 93

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

مناظرات للعلماء، ومجالسات للشعراء، ونساء برعن في نظم الشعر والكتابة، بل شاركت بعضهن في أعمال الدواوين الرسمية للدولة. كما استطاعت بعض الجواري، بفضل ما حظين به من مكانة وحظوة لدى الخلفاء والأمراء، أن يشاركن بصورة مباشرة أو غير مباشرة في شؤون الحكم وتدبير السلطة، وأن يكون لهن تأثير في اتخاذ القرارات وتعيين بعض المسؤولين أو عزلهم. كما عُرفت لبعضهن مجالس يُنظر فيها في شكاوى الرعية ومظالمهم، بما يعكس ما بلغته بعض الجواري من نفوذ ومكانة، ويبرز اتساع أدوارهن وتجاوزها المجال الخدمي والترفيهي إلى المجالين الاجتماعي والسياسي¹.

غير أن من أبرز ما أخذ على سياسة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، على خلاف ما اتبعه جده المؤسس عبد الرحمن الداخل، إفراطه في الاعتماد على الخصيان والصقالبة في إدارة شؤون الدولة والجيش، بهدف الحد من نفوذ العصبية العربية وإضعافها. وقد عُذَّ هذا النهج من الأخطاء السياسية التي تكررت في الخلافة العباسية ببغداد، حيث آلت القوة العسكرية تدريجياً إلى عناصر غير عربية، ولا سيما الأتراك، في حين برز الصقالبة في الأندلس. وأدى هذا التحول إلى ظهور طبقة عسكرية جديدة امتلكت نفوذاً متزايداً في الحياة السياسية والعسكرية، مع عدم إغفال قيام دول وإمارات مستقلة في المشرق والمغرب والأندلس.

وقد أسهم تزايد نفوذ العناصر العسكرية غير العربية، إلى جانب عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية أخرى، في إضعاف الخلافة الأموية بالأندلس، التي انتهت سنة 422هـ/1031م، ودخلت البلاد بعدها مرحلة ملوك الطوائف. أما في عصر الإمارة، فقد كان اعتماد عبد الرحمن الداخل على العناصر العربية أكثر وضوحاً، مع حرصه على تحقيق التوازن بين مختلف القوى والقبائل، وهو ما ساعده على تثبيت أركان الدولة الأموية في الأندلس².

مما لا شك فيه أن للجواري أثراً سياسياً واضحاً، مباشراً وغير مباشر، في الحياة السياسية، ولا سيما نتيجة ما حظين به من محبة الخلفاء وقربهم وثقتهم. وقد مكّنهن هذا القرب من اكتساب نفوذ سياسي ملحوظ، حيث اضطلعت بعضهن بأدوار مؤثرة في شؤون الدولة، وتدخلن في قضايا تعيين الخلفاء والوزراء وعزلهم، فضلاً عن مشاركتهن في توجيه بعض القرارات السياسية داخل القصر. كما أسهم بعضهن في إثارة الفتن والصراعات السياسية، في حين كان لبعضهن دور في تهدئتها وإخمادها، مما يعكس اتساع نطاق نفوذ الجواري داخل مؤسسة الحكم، خاصة خلال عصر الخلافة³.

¹ شهلة برهان، المرجع السابق، ص 209

² سوزي حمود، المرجع السابق، ص 93

³ نورة بنت إبراهيم الدوسري، المرجع السابق، ص 126

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

وقد برزت فئة الجواري في عصر الخلافة الأموية بالأندلس بوصفها نموذجًا دالًا على الحضور النسوي غير التقليدي الذي تجاوز الأدوار الاجتماعية المألوفة للمرأة آنذاك. فلم تكن الجواري مجرد أدوات للترف أو وسيلة للزينة داخل قصور الخلفاء، بل شكلن جزءًا من البنية الاجتماعية والثقافية والسياسية للدولة الأموية، إذ أسهمت بعضهن، بدرجات متفاوتة، في التأثير في الحياة السياسية، كما برز دورهن في المجالات الأدبية والفنية والعلمية. ومن ثم، فإن دراسة هذه الفئة تكتسب أهمية في فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل القصر الأموي، وآليات تفاعل الفئات المختلفة مع مراكز السلطة والنفوذ، فضلًا عن دورها في تشكيل الحياة الثقافية والأدبية.

وبناءً على ذلك، فإن تحليل حضور الجواري في المجتمع الأندلسي خلال عصر الخلافة لا ينبغي أن يقتصر على الجانب الاجتماعي أو الأخلاقي، وإنما يتجاوز ذلك إلى دراسة أدوارهن وتأثيرهن في مختلف جوانب الحياة العامة. ومن شأن هذا التحليل أن يسهم في الكشف عن بعض الجوانب الأقل ظهورًا في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس، وفهم طبيعة التداخل بين السلطة والمجتمع والثقافة داخل القصر الأموي، بما يعكس مكانة هذه الفئة ضمن التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي عرفها عصر الخلافة¹.

كانت الجواري تُباع وتُشتري في الأسواق التي عُرفت بتجارة الرقيق، ولا سيما في المدن والمراكز الحضرية الرئيسية، حيث أصبحت تجارة الجواري جزءًا من النشاط التجاري والاجتماعي السائد في تلك الفترة².

أما من الجانب العلمي، فقد شهدت قرطبة تطورًا كبيرًا خلال عصر الخلافة الأموية في الأندلس، وارتبط هذا الازدهار العلمي بصورة خاصة بعهد عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، الذي أعلن قيام الخلافة الأموية في الأندلس، واضعًا حدًا لعصر الإمارة، واتخذ من قرطبة عاصمةً لخلافته سنة 316هـ/929م، واتخذ لنفسه لقب الناصر لدين الله. وقد شكّل هذا الإعلان نقطة تحول مهمة في تاريخ الأندلس، إذ أسهم في تعزيز مكانة قرطبة بوصفها مركزًا سياسيًا وعلميًا وثقافيًا بارزًا في العالم الإسلامي³.

ومما يميز عصر الخلافة عن عصر الإمارة أن المصادر لم تُشر إلى وجود جوارٍ كاتبات في الأندلس قبل عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله؛ إذ لا تكاد

¹ صبا طلال زهيري، محمد عبد الله حسين الهبيي، «دور الجواري في الحياة العامة في العصر العباسي الأول»، مجلة ابن رشد للدراسات، ع 8، مج 2، جامعة الموصل، كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ، 1 ديسمبر 2025، ص. 11.

² نفسه، ص 15

³ سوزي حمود، المرجع السابق، ص 92

الفصل الثاني:

الجواري والمحظيات في عصر الخلافة

تذكر المصادر جواري امتهن الكتابة أو عُرفن بممارسة التدوين خلال عصر الإمارة. وقد يرجع ذلك إلى محدودية ما وصل إلينا من أخبارهن، وليس بالضرورة إلى انعدام وجودهن بصورة مطلقة.

أما في عصر الخلافة الأموية، فقد برز عدد من الجواري الكاتبات واشتهرن بمهارتهن في الكتابة والخط، ومن بينهن زمرد التي وُصفت بالكاتبة الحاذقة، وكتمان التي عُرفت بالفهم والنبيل، وموزن التي اشتهرت بذكائها ومعرفتها بالخط. ويبدو أن هذا التطور ارتبط بالمكانة العلمية والأدبية التي بلغها قصر الخلافة، إذ كانت قرطبة آنذاك مركزاً مهماً للعلم والأدب، وضم البلاط عدداً من الأدباء والعلماء والكتّاب، مما أتاح لبعض الجواري المتعلّقات فرصة اكتساب المعرفة وممارسة الكتابة والارتقاء بمكانتهن الثقافية¹.

ويظهر مما تقدم أن الجواري الكاتبات حظين بمكانة مهمة داخل قصر الخلافة، وانعكس ذلك على مكانتهن في المجتمع الأندلسي عمومًا، إذ امتلكن قدرًا وافرًا من العلم والمعرفة، إلى جانب مواهب متميزة في الكتابة والخط، مما أهلهن لتبوؤ منزلة رفيعة في الأندلس. ولا غرابة في ذلك، فقد أولى الأندلسيون أهمية كبيرة للعلم والتعلّم والكتابة والخط، وشجعوا على اكتساب المعارف وممارستها.

وقد ذكر عبد الواحد المراكشي أن بالربض الشرقي لقرطبة مأوى لسبعين امرأة يكتبن بالخط الكوفي، معبرًا عن دهشته من كثرة عددهن بقوله: «هذا في ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها؟»، ولا سيما أن قرطبة كانت تضم واحدًا وعشرين ربضًا. ويكشف ذلك عن انتشار تعلم الكتابة والخط بين النساء في المجتمع الأندلسي، كما يعكس البيئة الثقافية التي أتاحَت للجواري المتعلّقات فرصة اكتساب مهارات الكتابة والارتقاء بمكانتهن داخل البلاط والمجتمع².

وعليه ظهر أثر الجواري في الحياة الثقافية منذ بداية تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ، ثم تعاظم دورهن وبرزت مكانتهن بصورة أوضح خلال عصر الخلافة وملوك الطوائف، حيث أسهمن في مختلف المجالات الثقافية، ولا سيما الغناء والشعر والأدب. غير أن مكانتهن أخذت في التراجع خلال عصري المرابطين والموحدين، بالتزامن مع تراجع مظاهر الحياة الثقافية وازدهارها مقارنة بما شهدته الأندلس في العصور السابقة³.

¹ جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 60-61

² أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، ط. 1، 1426هـ/2006م، المكتبة العصرية، بيروت، 456 - 457

³ فريال عبد الرحمن العلي، المرجع السابق، ص 212

الخاتمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَاتِمَ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا سَيِّدِ الرُّسُلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهَذَاهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:
مِنْ خِلَالِ دِرَاسَتِي لِمَوْضُوعِ الْجَوَارِي وَالْمَحْظِيَّاتِ فِي الْأَنْدَلُسِ خِلَالَ الْعَهْدِ الْأُمَوِيِّ، اسْتَخْلَصْنَا نَتَائِجَ عِدَّةٍ، كَانَتْ فِي مُقَدِّمَتِهَا مَا يَلِي:

- يتضح مما تقدم أن الجواري في العصر الأموي بالأندلس لم يكن مجرد عنصر ثانوي أو هامشي، بل كنّ جزءاً لا يتجزأ من البنية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية للدولة، وأسهم حضورهن في تشكيل جوانب متعددة من الحياة العامة.
- أدّت الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي إلى توافد أعداد كبيرة من الجواري والمحظيات من مختلف البلدان المفتوحة، غير أنّ ذلك لم يُلغِ النظرة الاجتماعية السائدة تجاه أبناء الجواري، إذ ظلّ بعض أفراد المجتمع ينظرون إليهم نظرة دونية، حتى وإن كانوا أبناء خلفاء وأمراء، وهو ما يعكس استمرار بعض التقاليد الاجتماعية التي كانت تميّز بين أبناء الحرائر وأبناء الجواري.
- في العصر الأموي الأول، أي عصر الإمارة، اختلفت النظرة إلى الجواري، فقد وردت العديد من الروايات التي تشير إلى أن عبد الرحمن الداخل لم يُبدِ في بداية عهده اهتماماً كبيراً بهن، بل انصرف عنهن وتوجّه إلى تثبيت أركان حكمه وترسيخ سلطته. وما إن استتب له الأمر وتمكّن من إحكام قبضته على شؤون الإمارة، حتى بدأ في اقتناء الجواري وجلبهن إلى بلاطه.
- في المجال السياسي، مارست بعض الجواري أدواراً مؤثرة في توجيه القرار السياسي داخل القصور، مستفيدات من قربهن من الخلفاء وأبنائهم، مما أتاح لبعضهن التأثير في شؤون الحكم، والتدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تعيين بعض الوزراء والولاة.
- أسهم قرب بعض الجواري من مراكز السلطة في منحهن مكانة جعلتهن في بعض الحالات أشبه بمستشارات للخلفاء ووسيطات داخل القصر، كما شاركت بعضهن في نقل الأخبار والتأثير في مواقف أصحاب القرار، وأصبحن أحياناً طرفاً في بعض الدسائس والصراعات السياسية التي شهدتها الخلافة الأموية.
- في المجال الثقافي والأدبي، برزت بعض الجواري في مجالس الأدب والغناء، وتميزن في الشعر والموسيقى والغناء، حتى استطاعت بعضهن

الخاتمة

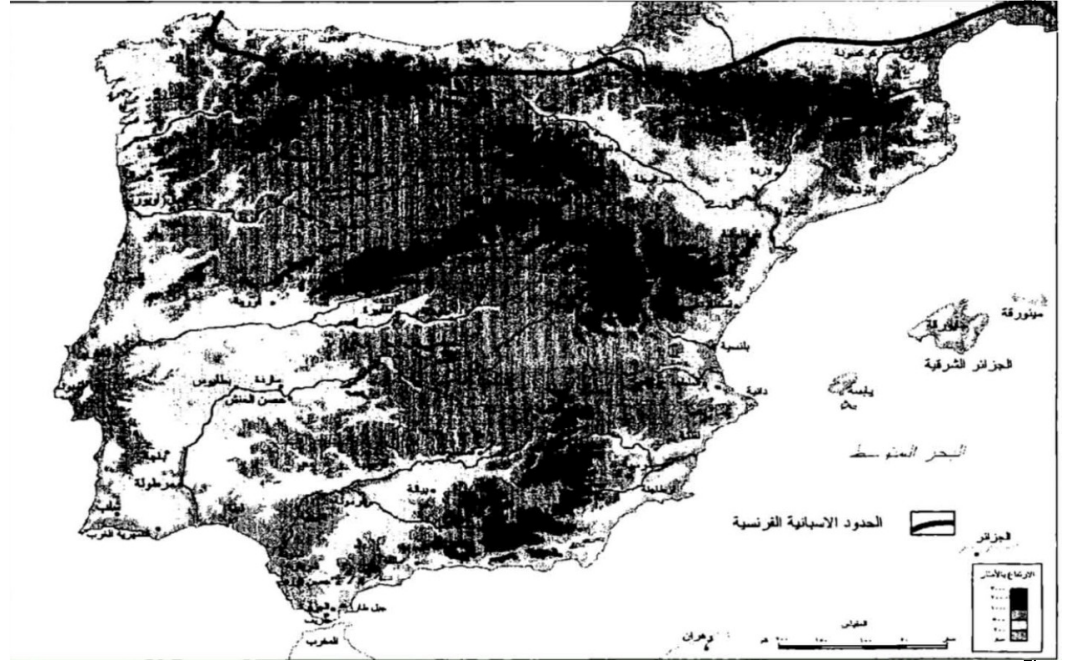
- منافسة كبار الأدباء والشعراء والفنانين في عصرهن، مما يعكس المستوى الثقافي الذي بلغته فئة منهن.
- تولّت بعض الجوّاري مناصب كانت تُعدّ من المناصب الحساسة والخطيرة التي غالبًا ما أُسندت إلى الرجال، وذلك لما امتلكن من مؤهلات علمية وأدبية مكنتهن من الاضطلاع بها.
- أسهمت الجوّاري في إثراء الحركة الأدبية والفنية، إذ ارتبط نتاج بعضهن بالأغراض الغزلية والوصفية، وعكس في جانب منه مظاهر الحياة داخل القصور وما اتصل بها من مظاهر الترف واللهو، وهو ما جعل حضورهن جزءًا من المشهد الثقافي في العصر الأموي بالأندلس.
- ساهمت الجوّاري في نقل عناصر ثقافية وفنية متعددة من البيئات التي جئن منها، الأمر الذي أسهم في تنوع الحياة الثقافية والفنية داخل المجتمع الأندلسي، وساعد على انفتاحه على أنماط جديدة من الفنون والمعارف.
- لم يقتصر دور الجوّاري على الجوانب السياسية والثقافية، بل امتد أيضًا إلى المجال الاقتصادي والاجتماعي، من خلال ارتباطهن بالحياة المنزلية والقصور ومظاهر الرفاه، مما جعلهن جزءًا من النشاط الاقتصادي والاجتماعي المرتبط بالطبقات الحاكمة والميسورة.
- تكشف دراسة وضع الجوّاري أنهن لم يكنّ مجرد خادمات أو وسيلة للمتعة، بل استطاعت بعضهن، بفضل ما امتلكن من مواهب ومهارات وقرب من مراكز السلطة، أن يتجاوزن الأدوار التقليدية المفروضة عليهن وأن يصبحن عناصر فاعلة في المجتمع.
- برز إسهام النساء الأندلسيات في المجال الديني والعلمي، من خلال مشاركتهن في تعليم القرآن الكريم وتفسير آياته، إلى جانب اهتمامهن بالفقه الإسلامي وعلم الحديث، وهو ما يعكس اتساع دائرة مشاركة المرأة في الحياة العلمية بالأندلس.
- ساهم العلماء والفقهاء في تشجيع النساء على طلب العلم، إذ أتاحوا لهن فرص التعلم والتعليم، واستجابوا لرغبة المجتمع في الاستفادة من علمهن ومعارفهن، مما ساعد على بروز عدد من النساء العالمات في مختلف العلوم.
- حققت الجوّاري الأندلسيات حضورًا في المجال الأدبي، مستفيدات من اهتمام الخلفاء الأمويين بالعلم والمعرفة وتشجيعهم للأدباء والعلماء، حيث برزت بعضهن في الأدب والشعر، وتمكنت من الوصول إلى مكانة مميزة داخل الأوساط الثقافية.

الخاتمة

- برزت بعض الجواري في الكتابة لدى السلاطين، ولا سيما في عهد الأمويين بالأندلس، وتميزن بإتقان الخط والقدرة على التحرير والإنشاء واشتهرت بينهن الأديبات المجيدات، والخطاطات البارعات، والشاعرات اللواتي أسهمن في الحياة الأدبية والفنية.
- وعليه، يمكن القول إن الجواري شكّلن عنصرًا مهمًا في تاريخ الخلافة الأموية بالأندلس، ولا يمكن تجاوز دورهن عند دراسة بنيتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية، إذ أسهمن بدرجات متفاوتة في التأثير في الحياة السياسية، وإثراء الحركة الثقافية والفنية، والمشاركة في مختلف جوانب الحياة العامة.

الملاحق

الملحق رقم 1: خريطة الأندلس



المصدر: سوزي حمود، الأندلس في العصر الذهبي: منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (91-350هـ/710-961م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/2009م، ص. 6.

الملحق رقم 02: الأمراء الأمويين في الأندلس

الأمراء الأمويون في الأندلس

(138 – 316هـ / 756 – 929م)

- | | |
|---------------|--------------------------------|
| 138هـ / 756م. | 1 – عبد الرحمن الأول «الداخل» |
| 172هـ / 788م. | 2 – هشام الأول «الرضا» |
| 180هـ / 796م. | 3 – الحكم الأول «الربضي» |
| 206هـ / 822م. | 4 – عبد الرحمن الثاني «الأوسط» |
| 238هـ / 852م. | 5 – محمد الأول |
| 273هـ / 886م. | 6 – المنذر بن محمد |
| 275هـ / 888م. | 7 – عبد الله بن محمد |
| 300هـ / 912م. | 8 – عبد الرحمن الثالث |

المصدر: سوزي حمود، المرجع السابق، ص 105

الملحق رقم 03: الخلفاء الأمويين في الأندلس

الخلفاء الأمويون في الأندلس

(316 – 422هـ / 929 – 1031م)

- | | |
|----------------|--|
| 316هـ / 929م. | 1 – عبد الرحمن الثالث «الناصر لدين الله» |
| 350هـ / 961م. | 2 – الحكم الثاني «المستصر» |
| 366هـ / 976م. | 3 – هشام الثاني «المؤيد» |
| 399هـ / 1009م. | 4 – محمد الثاني «المهدي» |
| 400هـ / 1010م. | 5 – سليمان «المستعين» |
| 408هـ / 1018م. | 6 – عبد الرحمن الرابع «المرتضى» |
| 414هـ / 1023م. | 7 – عبد الرحمن الخامس «المستظهر» |
| 414هـ / 1024م. | 8 – محمد الثالث «المستكفي» |
| 418هـ / 1027م. | 9 – هشام الثالث «المعتد» |

الملحق رقم 04: خطبة عيد الرحمان الناصر يوم إعلان نفسه خليفة

إعلان عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة
(الجمعة 2 ذي الحجة 316هـ / 16 كانون الثاني 929م)

«بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على نبيه محمد الكريم.

أما بعد،

فإن أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل حظه، وليس من كرامة الله تعالى ما البسه، فتحن، للذي فضلنا الله به، وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسر على أيدينا دركه، وسهل بدولتنا مرامه، وللذي أساد في الأفاق من ذكرنا، وأعلى في البلاد من أمرنا، وأعلق من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بما أظلمهم من دولتنا — إن شاء الله، فالحمد لله، ولي الإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا كذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتسم بما لا يستحقه منه، وعلمنا أن التماذي على ترك الواجب لنا من ذلك حق لنا أضعناه واسم ثابت أسقطناه. فمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطبتك لنا عليه، إن شاء الله»⁽¹⁾.

المصدر: سوزي حمود، المرجع السابق، ص 109

الملحق رقم 5: صورة لراقصة وراقص فلامنجو



المصدر: جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 357

الملحق رقم 6: صورة لراقصات فلامنجو بملابس طويلة ومزركشة



المصدر: جنان عز الدين شبانة، المرجع السابق، ص 358

الملحق رقم 7 : موصفات الجواري السوداوات

اللون	العرق	الخصائص الجسدية	الخصائص الأخلاقية	الأدوار
السود	الهنديات	حسن قوام، سمرة ألوان، حقد واقر من الجمال، صفرة وصفاء بشرة، طيب نكهة، لين ونعمة، شيخوخة تسرع إليهن	وفاء عهد ومودة، كثرة مخالطة، بعد غور، سلاطة، عزة نفس، لا يصبرن على الذل	- إنجاب الأولاد ⁽¹⁾
	السنديات	قرب الشبه بالهند دقة خصور وطول شعر ⁽²⁾ حسن الصوت	الدقة والضبط	- الصيرفة- الغناء ⁽³⁾
	قندهاريات ⁽⁴⁾	الطيب منهن تعود كالسكر		
	المدنيات	سمر الألوان - معتدلات القوام	ملاحة، دل، حسن شكل، بشر، لا غير قيهن على الرجال، قنوعات بالقليل	- التقين

الملاحق

التوبيات	فيهن جمال فائق، وهن مختنات، ولهن أعراق طيبة لسن من أعراق السودان في شيء، فيهن الجمال وكمال المحاسن وشفاههن رقاق، وأفواههن صغار ومياسمهن بيض، وشعورهن سيطة ⁽¹⁾	ترف لطف قَصَف، أخلاقهن طاهرة، فيهن دين وخيرية وعفة وتصون وإذعان للمولى، كأنهن قُطِرْنَ على العبودية ⁽²⁾	- يتخذن أمهات أولاد لطيب متعتهن ونفاسة حسنهن ⁽³⁾
زرتجيات ⁽⁴⁾	إذا بوشرن وعرقن بدا منهن عرق كالمسك		- لا يصلحن للولد
زنجيات	كلما زاد سوادهن قبحت صورهن وتحددت أسنانهن وقل الانتفاع بهن وخيفت المضرة منهن أنقى الناس ثغوراً لكثرة الريق، وفيهن جلد على الكد	الغالب عليهن سوء الأخلاق وكثرة الهرب وليس في خلقهن الغم	- الرقص والإيقاع فطرة فيهن - لعبومة ألفاظهن عُدل بهن إلى الزمر والرقص - ليس فيهن متعة لصنانهن وخشونة أجسامهن، - الرضاع

المصدر: وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص 121 - 123

قائمة المصادر والمراجع

(1) القرآن الكريم:

- 1- سورة البقرة، الآية 256
- 2- سورة التكوين، الآية 15
- 3- سورة الحج، الآية، 27
- 4- سورة المؤمنون، الآية: 5-6
- 5- سورة يس، الآية 38

(2) المصادر:

- 1- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
- 2- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط.
- 3- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الجزء 4 (من خلافة الوليد بن عبد الملك حتى نهاية الدولة الأموية)، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2012، ص333.
- 4- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج6.
- 5- ابن القوطية القرطبي، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مراجعة: عمر فاروق الطباع، ط9، بيروت، لبنان، مؤسسة المعارف للنشر والتوزيع، 1415هـ/1994م.
- 6- ابن القوطية، محمد بن عمر القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، شرح وتحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1994م.
- 7- ابن القوطية، محمد بن عمر القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، شرح وتحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1994م.
- 8- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1993.
- 9- ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم، ج2، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.

قائمة المصادر والمراجع

- 10- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، أبو محمد، طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألف، دراسة وتحقيق: عبد الحق التركماني وعبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1434هـ/2013م.
- 11- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض، ط2، القسم الأول، مطبعة بريل، 1938.
- 12- ابن حيان القرطبي، أبو مروان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.
- 13- ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ج3.
- 14- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، د.ت، ط2، ج1.
- 15- ابن خلدون، عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر لمن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ط1، ج4.
- 16- ابن شكوال، الصلة، ج3، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، المكتبة الأندلسية، مج13.
- 17- ابن شهيد الأندلسي، ديوان ابن شهيد الأندلسي، تحقيق: يعقوب زكي ومحمود علي مكي، القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.
- 18- ابن عذاري، أبو العباس محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت.
- 19- أرسلان، شكيب، الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1، ط1، 1355هـ/1936م، مطبعة الرحمانية، مصر.
- 20- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ط4، القاهرة، د.ت، ج2.
- 21- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الرابعة، القاهرة، دون تاريخ، ج2.
- 22- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب المحاسن والأضداد، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1969.
- 23- الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تحقيق: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

قائمة المصادر والمراجع

- 24- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج7.
 - 25- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ج8.
 - 26- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ط1، ج7.
 - 27- كونسابل، أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة: فيصل عبد الله، ط1، مكتبة الكعبان، السعودية، 2002.
 - 28- لسان الدين الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، تحقيق: ليفي بروفنسال، المجلد2، 2002.
 - 29- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الدكتور الطاهر أحمد مكي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1414هـ/1994م.
 - 30- المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، ط1، 1426هـ/2006م، المكتبة العصرية، بيروت.
 - 31- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، اختصار وتحقيق قاسم وهب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1989.
 - 32- المقرئ التلمساني، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ج1، 1949.
 - 33- المقرئ التلمساني، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ج2، 1949.
- (3) القواميس:**
- 1- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندائي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، المادة (ج ر ي)
- (4) المراجع:**
- 1- فيض الله سولف، دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط1، 2016م.

قائمة المصادر والمراجع

- 2- إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الإسلامية (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط10، 1996م.
 - 3- وفاء الدريسي، الجوّاري والغلمان في الثقافة الإسلامية: مقارنة جندرية، دار مأمون للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، دار مأمون بلا حدود للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2016م.
 - 4- أحمد أمين، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج2، د.ت.
 - 5- مراد دقاق، ملامح الشعر الأندلسي، مطبعة جامعة حلب، سوريا، ط3، 1978م.
 - 6- سوزي حمود، الأندلس في العصر الذهبي: منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (91-350هـ/710-961م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/2009م.
 - 7- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس: من الفتح إلى بداية عهد الناصر، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، 1389هـ/1969م، القسم الأول، ص 140-206.
 - 8- عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.
- (1) **المقالات:**
- 1- حيدر، نور الهدى، الحياة الجاهلية: نظامها، معيشتها، دينها، لهجتها، أدبها، ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، د.ت.
 - 2- مجهول، محاضرة بعنوان: الدولة الأموية في الأندلس (عصر الإمارة 138-316هـ)، ص3، على الموقع: <http://uanistansiriyali.edu.id>
 - 3- محمد، مروة محمد رشاد، «بنسليّة في ظل الإسلام»، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.
 - 4- ملاخ، عبد الجليل بن عبد القادر، «الإمارة الأموية في الأندلس وتحولها من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي»، جامعة أدرار.
 - 5- ملاخ، عبد الجليل بن عبد القادر، الإمارة الأموية في الأندلس وتحولها من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي، د.ت، جامعة أدرار.
- (2) **المجلات:**
- 1- برهان، شهلة، «دور الجوّاري في عهد الدولة الأيوبية (569-607هـ/1174-1228م)»، مجلة آداب البصرة، العدد 108، جويلية 2024.
 - 2- بلعربي، خالد، «المرأة في الأندلس في عهد الخلافة الأموية (316-422هـ/929-1031م): دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

قائمة المصادر والمراجع

- والثقافي»، مجلة رفيف، مخبر المخطوطات الجزائرية، المجلد 12، العدد 2، نوفمبر 2024.
- 3- زهيري، صبا طلال، اللهبي، محمد عبد الله حسين، «دور الجوّاري في الحياة العامة في العصر العباسي الأول»، مجلة ابن رشد للدراسات، ع 8، مج 2، جامعة الموصل، كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ، 1 ديسمبر 2025.
- 4- زهيري، صبا طلال، اللهبي، محمد عبد الله حسين، «دور الجوّاري في الحياة العامة في العصر العباسي الأول»، مجلة ابن رشد للدراسات، ع 8، مج 2، جامعة الموصل، كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ، 1 ديسمبر 2025.
- 5- شرقي، نوار، «لمحات من الواقع الثقافي للجوّاري في الغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين»، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 6، العدد 2، جوان 2023، جامعة ابن خلدون، تيارت.
- 6- الشعيري، سناء، «جوّاري الأدب بين سلطة المعرفة ورهانات الاعتناق»، مجلة مناهل، العدد 102، 2021، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية.
- 7- الشمري، يوسف كاظم جغيل، عباس، عدي سهر، «أنواع مجالس الخلفاء والأمراء العباسيين (132هـ-334هـ)»، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كلية التربية والعلوم الإنسانية، العدد 23، 2015م.
- 8- العطار، فاضل، «الجوّاري والسراري في المغرب قبيل معاهدة فاس: مقارنة في السلطة والجسد»، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس، المغرب، مجلة المعرفة، العدد 38، أبريل 2026.
- 9- العكيلي، جهاد خاضم، صالح، أفرح دياب، «الجوّاري في التاريخ ودورهن في الحياة الأدبية والثقافية»، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد 37، 2018م.
- 10- العلي، فريال عبد الرحمن، «الجوّاري في الأندلس: جدلية العبودية والإبداع»، مجلة التواصل الأدبي، العدد العاشر، جانفي 2018، جامعة أم القرى، الكلية الجامعية بالقفزة.
- 11- الهنداوي، هنادي زعل، «الجوّاري عند التنوخي من خلال كتابه الفرج بعد الشدة»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 11، 30 سبتمبر 2021، وزارة التربية والتعليم، الأردن.

قائمة المصادر والمراجع

(3) مذكرات واطروحات التخرج:

- 1- جنان عز الدين شبانة، الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس، رسالة مكملّة لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخليل، قسم اللغة العربية، إشراف حسن فليفل، 2005.
- 2- جنان عز الدين شبانة، الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس، رسالة مكملّة لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخليل، قسم اللغة العربية، إشراف حسن فليفل، 2005.
- 3- زميري سهير، فلاح كنزا، دور المرأة في الأندلس خلال العهد الأموي (138-422هـ)، مذكرة ماستر في العلوم الإنسانية، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2021-2022.
- 4- نورة بنت إبراهيم الدوسري، خدم دار الخلافة ودورهم السياسي والحضاري في العصر العباسي الثاني (232-656هـ/847-1258م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية، إشراف لميع بنت أحمد الشافعي، 1436هـ/2015م.

فهرس الموضوعات

Table des matières

1	مقدمة
10	الفصل التمهيدي: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي
11	أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي
11	أ- التعريف اللغوي
13	ب- التعريف الاصطلاحي
16	1- حركة الفتوحات الإسلامية
17	2- التجارة الدولية
20	3- الهدايا
21	ثانياً: مكانة الجوّاري والمحظيات في التاريخ الإسلامي
21	أ- مكانة الجوّاري والمحظيات في العصر الجاهلي
25	ب- مكانة الجوّاري والمحظيات في صدر الإسلام
34	الفصل الأول: الجوّاري والمحظيات في عصر الإمارة
35	أولاً: الجوّاري والمحظيات في عهد ملوك الإمارة
35	في عهد عبد الرحمن الداخل: الإطار التاريخي والسياسي
35	أ- شخصيته
38	ب- أعماله الإدارية والسياسية والعسكرية
42	الجوّاري والمحظيات في بلاط عبد الرحمن الداخل
47	ومن أنواع الجوّاري نذكر:
49	أ- الأمة
50	ب- أمّ الولد
51	ت- جوّاري اللذة
52	ث- الحظيّة
52	ج- القينة
54	ح- القهرمانّة
54	خ- الوصيفة

فهرس الموضوعات

55	د- الحضية:
55	ذ- السُرِّيَّة:
56	ر- جوارى الخدمة:
57	ز- الساقية:
58	ثانياً: دور الجوارى والمحظيات فى عصر الإمارة وأثرهن على الحكم
58	الدور السياسى الاجتماعى:
60	الأعمال المنزلية:
61	الدور الثقافى والعلمى:
62	الأدب:
63	الغناء:
66	الشعر:
69	الفصل الثانى: الجوارى والمحظيات فى عصر الخلافة
69	أولاً: الجوارى والمحظيات فى عهد الخلافة (183هـ-222هـ)
69	فى عهد عبد الرحمن الناصر: الإطار التاريخى والسياسى
70	أولاً: الجوارى والمحظيات فى عهد الخلافة (183هـ-222هـ)
	الجوارى والمحظيات فى عهد عبد الرحمن الناصر وخليفته هشام بن عبد
73	الرحمن الناصر
76	ثانياً: دور الجوارى والمحظيات فى عصر الخلافة وأثرهن على الحكم
76	الدور السياسى الاجتماعى
82	الدور الثقافى والعلمى
86	التعليم:
86	الكتابة:
87	طبّ النساء والولادة
88	الشعر:
89	الغناء:
92	ثالثاً: المقارنة بين أدوار الجوارى فى عصر الإمارة وعصر الخلافة
92	أ/ الإمارة الاموية 138هـ / 756م:

فهرس الموضوعات

94	ب/ الخلافة الاموية 316هـ / 929م:
98	الخاتمة
102	الملاحق
103	الملحق رقم 1: خريطة الأندلس
103	الملحق رقم 02: الأمراء الأمويين في الأندلس
104	الملحق رقم 03: الخلفاء الأمويين في الأندلس
104	الملحق رقم 04: خطبة عيد الرحمان الناصر يوم إعلان نفسه خليفة
105	الملحق رقم 5: صورة لراقصة وراقص فلامنجو
105	الملحق رقم 6: صورة لراقصات فلامنجو بملابس طويلة ومزركشة
106	الملحق رقم 7 : موصفات الجواري السوداوات
107	قائمة المصادر والمراجع
114	فهرس الموضوعات